

نبيل معلول : آخر كلامي للاعبين أدخلوا الفرحة على التونسيين

العربية



Leaders

العدد 30 • السعر : 2,5 د.ت • جوان 2018

خِصَّ

خفايا الثورة العلميّة
في مخابر الشرطة الفنيّة التونسيّة

لماذا لطم قابيل هابيل؟ الصراع النّداي - النّداي يشلّ الدّولة



معارك خاطئة في توقيت خاطئ



البحر وهم يدركون مسبقاً أنهم حتى وإن كتبت لهم السلامة فهم لن يلقوا الترحاب لدى وصولهم إلى الضفة المقابلة من المتوسط. أليست الطبقة السياسية التي عجزت عن إشاعة الأمل في النفوس من خلال خطاب معبئ للطاقت، متبوع بالفعل والإنجاز الطرف الرئيسي المتسبب في هذه الأوضاع المأساوية؟ أليست هي أيضا المسؤولة عن تعثر مسار إنقاذ البلاد من مخاطر الانهيار الاقتصادي والتدهور الاجتماعي وعن استفحال الرداءة السياسية واتساع رقعة مستنقع السياسة الفاسدة؟

فلا غرو إذن أن ينظر شق واسع من التونسيين إلى السياسة والسياسيين بشيء من الازدراء والامتعاض، خاصة وهم لا يلمسون منهم الاهتمام اللازم بمعاناتهم اليومية في مواجهة غلاء المعيشة وبمعالجة ما تشهده قطاعات حيوية كالصحة والتعليم من أوضاع كارثية، في ظرفية اقتصادية حرجة بلغت فيها عديد الأرقام والمؤشرات مستويات غير مسبوقة (نسبة التضخم، المديونية، عجز الميزان التجاري، انزلاق الدينار، ارتفاع سعر برميل النفط...). وهذه المرحلة الدقيقة تدعوهم إلى التساؤل عن كيفية الخروج من هذا النفق المظلم في ظل المعارك السياسية المحترمة الدائرة حاليا والانقسام الحاد في صفوف الفاعلين الأساسيين في الساحة الوطنية.

ولا خفاء أن هذه المعارك مضيعة للوقت واستنزاف لطاقت من الأجدى تسخيرها للمضي قدما في حل قضايا كبرى لم تعد تحتل تأخيرا ولا إبطاء كإصلاح المؤسسات العمومية والصناديق الاجتماعية. هي، بلا ريب، معارك خاطئة في توقيت خاطئ، لأنه بات جليا أن ما يغذيها ويحركها حرص على التمتع والتقدم أشواط على الخصوم أو ببساطة إقصاء عدد منهم من السباق قبل استحقاقات 2019.

فهل يسمح وضع تونس بخوض معارك انتخابية سابقة لأوانها، هي مجلبة لمزيد من الفرقة والتناحر وعنصر زعزعة للاستقرار السياسي، في الوقت الذي تحتاج فيه البلاد إلى مشروع وطني جامع يقودها إلى طريق الخلاص ويضمن مصالحة التونسي مع الشأن العام؟
ع.ه

تعد أخبار التحويلات الوزارية في تونس اليوم تستهوي قطاعا واسعا من الرأي العام أو تثير فضوله كما كان الشأن في ماض قريب، بل يكاد يقتصر أمر هذه التحويلات على فئة ضيقة من التونسيين، وفي طليعتهم الطامعون في مغنم السلطة ومباهجها أو الساعون إلى الاحتماء تحت مظلتها. فأن يكون التغيير الحكومي، جذريا وشاملا، كما طالب به البعض، أو جزئيا، كما دعا إليه البعض الآخر، حرصا منهم على «الاستقرار السياسي»، فتلك مسألة لا نخالها تتصدر اهتمامات عامة الناس، على الرغم من إدراكهم لخطورة المهمة المنوطة بعهدة الفريق الحكومي وبقية أطراف الحكم، في سياق أزمة سياسية واقتصادية واجتماعية خانقة تمر بها البلاد، فلا يلقي الشأن العام منهم سوى المتابعة الفاترة، إن لم نقل اللامبالاة، بدل التحمس للانخراط الفاعل فيه.

وقد كشف عزوف نسبة هامة من الناخبين عن المشاركة في الانتخابات البلدية الأخيرة وحصول القوائم المستقلة على أكبر عدد من المقاعد في المجالس البلدية القادمة عن سخط جانب من التونسيين -ليس بالقليل- من الأحزاب، بل من الطبقة السياسية برمتها، فعوقبت أشد عقاب جراء عجزها عن إيجاد حلول ناجعة للمشاكل القائمة وتحملها القسط الأوفر من المسؤولية في الانحدار المفزع الذي ذهب فيه البلاد مراحل قصية في مختلف المجالات.. رافق هذا الانحدار تغيير عميق ومنتدرج في المزاج العام من انتشاء وتفاؤل نسبي عقب 14 جانفي 2011 إلى خيبة أمل من المنجز في الحياة اليومية وفي قضايا التشغيل والتنمية والعدالة الاجتماعية، ما لبثت أن تحولت، على مدى الأيام، إلى شعور بالإحباط وخوف من المستقبل المجهول، بسبب انسداد الأفق وضبابية الرؤية.

نخب علمية وإطارات مقتدرة بذلت المجموعة الوطنية جهودا سخية من أجل تكوينها تهاجر بأعداد وافرة كل سنة إلى أوروبا وأمريكا والخليج حيث رفاه الحياة وسعة الدخل.. وشباب فاقد للأمل وجحافل من المهتمشين والفقراء يغامرون بأنفسهم في عرض



مع
Les Packs
Mobiles Select

سهل خدمتك أكثر



des Smartphones
بلاش

- ✓ Forfait voix valable en Roaming
- ✓ Forfait Internet 4G
- ✓ + 300% Bonus sur recharge

À PARTIR DE 30 DT / MOIS

À la maison, au travail, partout.

1288

www.tunisie telecom.tn

ليدرز
العربية

مجلة شهرية تصدر في منتصف كل شهر

المدير المسؤول
توفيق الحبيب

مستشار التحرير
الهادي الباهي

مدير التحرير
عبد الحفيظ الهرقام
هيئة التحرير

احميدة التيفر • رشيد خشانة • محمد العزيز ابن عاشور
عبد اللطيف الفراقي • محمد ابراهيم الحصري
عزالدين المدني • محمد حسين فنطر • مني كريم الدريدي
عادل الأحمر • منذر بالضيافي • الصبحي الوهابي
عامر بوعزة • الحبيب الدريدي • توفيق جابر
المختار المستيسر • عادل كمون • عادل كعنيش
علي اللواتي • يوسف قدية • عبد الدايم الصماري
حنان زبيس • خالد الشابي • نجاح الخراز

التصوير والإخراج
أحمد الشارني

موقع الواب
رايد بوعزيز

صور

ليدرز حقوق محفوظة

مراجعة النصوص
احميدة الحيدري

فيديو
مروي مقني

التسويق والاتصال

جيهان واز • بوران التيفر

الإدارة والتوزيع والاشتراكات
فيصل المجادي • حمدي المزوغي

الإسناد

شوقي الرياحي • الحبيب العباسي
• لمياء عليّات • ليلى منيف

طباعة

سامباكت

PR Factory

مجمع التور، مدينة العلوم،
صندوق بريد 200، حي المهرجان 1082، تونس
الهاتف: 71 232 111 - فاكس: 71 750 333

www.leaders.com.tn

marketing@leaders.com.tn

redaction@leaders.com.tn

- الفهرس**
- الافتتاحية**
- 1 • معارك خاطئة في توقيت خاطئ
عبد الحفيظ الهرقام
- شؤون وطنية**
- 10 • لماذا لطم قاييل هابيل؟ الصراع الندائي - الندائي يشل الدولة
رشيد خشانة
- 13 • خاص: خفايا الثورة العلمية في مخبر الشرطة الفنية التونسية
خالد الشابي
- 20 • من يشكك في استقلال تونس كمن يشكك في الشمس في رابعة النهار
أ. الأزهر القروي الشابي
- 24 • الأستاذ كمال عمران، علو في الحياة و في الممات...
د. الحبيب الدريدي
- 26 • مية الجريبي...نصاعة الثلج وصفاء النبع
رشيد خشانة
- ملف: كأس العالم 2018: المنتخب التونسي**
- 29 • بين ملحمة الأرجنتين و«جاين يا روسيا جاين»
عادل الأحمر
- 32 • نبيل معلول: آخر كلامي للأعبين، أدخلوا الفرحة على التونسيين
عادل الأحمر
- مجتمع**
- 36 • في ظاهرة العنف بالملاعب الرياضية
منجي الزيدي
- 38 • التصوف ذلك المجهول
د. احميدة التيفر
- 40 • يوميات مواطن عياش: غدوة نحزق السننورة...
عادل الأحمر

متوفرة على رحلات

خطوط التونسية
TUNISAIR





58



24
ص

ودّعت السّاحة العلميّة والثّقافيّة مؤخّراً الأستاذ الجامعي والملتقّف والإعلامي والإمام الخطيب الدكتور كمال عمران الذّي وافته المنية على نحو فاجأ أهله وأصدقاءه ومعارفه حتّى أنّ كثيراً ممّن جاءهم خبرُ موته فزعوا فيه بأمالهم إلى الكذب. ←

شؤون عربيّة

42 • قراءة في مسلسل المؤامرات على المنطقة العربيّة
علي اللواتي

46 • الانتخابات الأخيرة في البلدان العربية : إقبال ضعيف
وتأثر بالأوضاع الإقليمية في المنطقة
حنان زبيس

شؤون دولية

50 • الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بين «اغتصاب» الحقوق الفلسطينية
و«التحرش» بالنظام العالمي القائم
محمد إبراهيم الحصري

من التاريخ

55 • «وصف إيالة تونس» للقنصل بيليسي هل كان تمهيدا للاحتلال الفرنسي؟
د. الحبيب الدريدي

55 • «وصف إيالة تونس» للقنصل بيليسي هل كان تمهيدا للاحتلال الفرنسي؟
د. الحبيب الدريدي

أعلام تونسيون

58 • عزّوز الرباعي مناضل ضحّي بشبابه في سبيل الوطن
الشاذلي القليبي

ثقافة وفنون

64 • ماذا وراء تهجين العربية في وسائل الإعلام والاتصال؟
فوزية بلحاج المزي

66 • أيّ دور للمثقف التونسي؟
د. عزّ الدين عناية

68 • الدراما التلفزيونية في رمضان، شحّ في الإنتاج وضمور في الخيال
د. محمد ناظم الوسلائي

70 • من يريد فرض ثقافة الهامش؟
عامر بوعزة

إصدارات

74 • تاريخ التكفير في تونس / لشكري المبخوت
تكفير الثعالبي والحدّاد وبورقيبة : الملابس والأبعاد
الحبيب الدريدي

بطاقة

76 • أرقام
الضحّي الوهابي



26
ص

ناصعة كالثلج. صافية كالبلور. متفدّة كما العين الثّاقبة. متناسقة كما القصيدة. تلك هي قامة مية الجريبي، ذات الأبعاد العصيّة على الإحصاء والعدّد. عرفتها في بواكير الثمانينات. فتاة نحيفة ورشيقة، مع حيوية لا تخطئها العين. هي أصغرنا سنّاً، إذ لم تتجاوز الحادية والعشرين. ←



66
ص

ما يشهده العالم اليوم من تحوّل على صلة بالرأسمال الثقافي وبالصناعة الثقافيّة وبأدوار المثقّف، هو مؤشّر على تحوّل أعمق وانتقال من طور إلى آخر، ليس في مجال الثقافة فحسب. وتبعاً لتلك المستجدات، يبدو التونسيون اليوم أحوج ما يكون إلى تطوير رؤاهم، ←

Tunisair vous
emmène à Prague



tunisair.com

GET CLOSER

الخطوط التونسية
TUNISAIR



نحو تنمية المبادلات التجارية التونسية الهندية

بعد أن كانت مقررة لشهر فيفري الماضي، من المنتظر أن يشهد موفى شهر جوان الجاري زيارة رسمية تؤديها إلى تونس وزيرة خارجية الهند السيدة سوشما سوارج (Sushma Swaraj)، وذلك رداً على الزيارة الرسمية التي كان أداها لنيودلهي وزير الشؤون الخارجية السيد خميس الجهيناوي من 30 إلى 31 أكتوبر الفارط. وسيبحث الجانبان بالخصوص السبل الكفيلة بمزيد تنمية المبادلات التجارية وتطوير الشراكة الاقتصادية بين البلدين. والجدير بالذكر أن حجم المبادلات التجارية بين تونس والهند ظل متواضعا، إذ بلغ في موفى نوفمبر 2016 ما يناهز 740 مليون دينار، وهو ما لا يتناسب خاصة مع الإمكانيات الهامة للاقتصاد الهندي. وحدد الطرفان في أكتوبر الماضي هدفا يتمثل في بلوغ المبادلات التجارية قيمة مليار دينار خلال السنوات الخمس القادمة.

القمة الأفريقية الحادية والثلاثون بناوكشوط في بداية جويلية

بعد أن استضافت موريتانيا في جويلية 2016 القمة العربية السابعة والعشرين، يستعد هذا البلد المغربي لاحتضان الدورة الحادية والثلاثين لقمة رؤساء دول وحكومات الاتحاد الإفريقي في بداية شهر جويلية 2018. وإلى جانب النظر في المسائل المتعلقة بسير عمل الاتحاد وتسريع الخطى على درب الاندماج الأفريقي، من المنتظر أن تتناول القمة بالدرس تقريرا مفصلا بشأن ملف الصحراء الغربية، وذلك بناء على قرار صادر عن الدورة التاسعة والعشرين للقمة الأفريقية المنعقدة يومي 3 و4 جويلية 2017 بأديس أبابا. والجدير بالذكر أن الرئيس الفرنسي إيمانوال ماكرون أعلن حضوره هذه القمة إثر لقاء جمعه يوم 23 ماي الماضي بباريس بالرئيس الروندي بول كاغامي الرئيس الحالي للاتحاد الإفريقي. ومن جهة أخرى، سيتم على هامش هذه القمة، وفي لقاء رفيع المستوى، توجيه تحية إلى روح رئيس جنوب أفريقيا نيلسن مانديلا باعتباره رمزا للتحرر والإشادة بمواقفه الحكيمة والمتبصرة وذلك بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده.



حركة رؤساء البعثات الدبلوماسية والقنصلية تشمل 12 بعثة

من المنتظر أن يتم خلال شهر جويلية القادم الإعلان عن الحركة في سلك رؤساء البعثات الدبلوماسية والقنصلية التونسية بالخارج وذلك قبل انعقاد ندوتهم السنوية المقرر عقدها يومي 23 و24 في نفس الشهر. وعلمت ليدرز العربية من مصدر مطلع أن الحركة ستشمل سبع سفارات بالعواصم التالية: كينشاسا وأديس أبابا وطوكيو وهلسنكي وبروكسال وبوخارست ولشبونة و4 قنصليات في أربع مدن أوروبية وهي: روما وليون وغرونوبل وبانتان. وإلى ذلك الحين، لا يستبعد أن تتوسع الحركة لتشمل مراكز أخرى.

الاحتفال بثلاثينية التعاون الإيطالي بتونس

تعكف سفارة إيطاليا بتونس على إعداد برنامج يتضمن جملة من التظاهرات ستقام في بداية السنة المقبلة في إطار الاحتفال بثلاثينية التعاون الإيطالي بتونس في جانبه المتعلق بالمساعدة العمومية. وتتواصل الجهود حثيثة لتهيئة المقر الجديد الذي يأوي مصالح التعاون الإيطالي الكائن بنهج هارون الرشيد هيميتوال فيل بالعاصمة، على مقربة من مقر السفارة، والذي سيتم تدشينه في منتصف شهر جويلية القادم.

BANCASSURANCE



استري للتأمين
ASTREE ASSURANCES

avec
**EPARGNE
PLUS**

assurez votre avenir
en toute tranquillité

La BANQUE DE TUNISIE en partenariat avec ASTRÉE ASSURANCES, vous propose le contrat «ÉPARGNE PLUS» qui vous permet, ainsi qu'à vos proches, d'avancer dans la vie en toute sécurité tout en bénéficiant d'une fiscalité optimisée.



قريباً إصدار الأعمال النقدية الكاملة للمرحوم حسين الواد

تستعدّ دار الجنوب للنشر لإصدار الأعمال النقدية الكاملة للأكاديمي والناقد والروائي المرحوم حسين الواد الذي كان يشرف على سلسلة «مفاتيح» الصادرة عن الدار، وذلك تكريماً لهذا العلم البارز.

وكان لوفاة الأستاذ حسين الواد، يوم السبت 2 جوان 2018 بالمملكة العربية السعودية عن سنّ تناهز 70 عاماً، الوقع الأليم في نفوس أهل الفكر والثقافة في تونس وفي العالم العربي، نظراً لما تميّز به الراحل من غزير العطاء في مجالي الرواية والنقد الأدبي. ويشهد له الكثيرون بالريادة في دراسة الأدب ونقده وبدوره الهامّ في تطبيق مناهج النقد الحديثة على النصوص العربية التراثية والمعاصرة.

وكان آخر ظهور للفقيه في تونس خلال الدورة الأخيرة لمعرض تونس الدولي للكتاب حيث قدّم آخر عمل له، وهو رواية «الغربان» الصادرة عن دار الجنوب للنشر.

صدر العدد الثاني من مجلة «المشترك»

صدر العدد الثاني من مجلة «المشترك»، متضمناً في أكثر من مائة صفحة العديد من المواد البحثية والفكرية القيّمة بقلم نخبة من خيرة الكُتّاب والجامعيين التونسيين. وتناول ملفّ العدد موضوع «المثقف والنخب والتحوّلات الحضارية الكبرى» في حين تطرّق الدكتور الطاهر لبيب في ركن «وثيقة العدد» إلى مسألة «الثقافة والمجتمع: تفكّك العلاقة وتعليق الدلالة». أمّا الركن المتعلّق بالفكر السياسي والاستراتيجي فقد وردت به ثلاثة مقالات حول «الديمقراطية وبعدها الأسطوري» (أيمن البوغامبي) والانتقال «من صلاحية النظرية إلى المجتمع المفتوح» (منصف

المحواشي) و«الفكر السياسي العربي

وتهافت الأسئلة الكبرى» (وليد

حدّوق). واختير مفهوم الحضارة

ليكون محلّ بحث وتدقيق من

قبل علي الصالح مولى في «كشّاف

المفاهيم». كما احتوى العدد

الجديد من المجلّة على مقالات

عناوينها: «في الوعي المزدوج:

وثائق عتيقة في قضية متجدّدة»

(احميده النيفر) و«المقاصد

الاجتماعية للعبادات وعوائق

تحقيقها» (سيف الدين الماجدي)

و«في إشكالية الأصالة والمعاصرة»

(علي المخليبي) و«قانون الأحوال

الشخصية التونسي والتحوّلات

الاجتماعية» (محمد الطاهر

ماجول)، وذلك إلى جانب مباحث

أخرى.

ومن ناحية ثانية، عرضت المجلّة

خلاصة للنقاشات التي جرت في الندوة المخصّصة لتحليل مضمون «تقرير الحالة

الدينية في تونس (2011 - 2015)».

والجدير بالذكر أنّ مجلّة «المشترك» يصدرها مركز المتوسّط لدراسة التحوّلات

الاجتماعية والاستشراف، وهي مؤسسة غير ربحية تعنى بالبحث والدراسات

مقرها تونس، تأسست سنة 2012 على يد ثلثة من الباحثين والجامعيين المختصّين

في مجالات مختلفة وعدد من رجالات الفكر. ومن بين أهداف المركز الإسهام

في إرساء حركة مستدامة للبحث العلمي تقيم «حالة بحثية» منتجة مهمتها

متابعة الحراك المجتمعي وتحوّلاته واستشراف ظواهره وآثاره واتجاهاته بأفق

استراتيجي. وللمجلّة مجلس علمي يضمّ ثلثة من الباحثين والجامعيين والكُتّاب

وهيئة تحرير تتكوّن من الأساتذة احميده النيفر (رئيس التحرير) وزياد المي

(سكرتير تحرير) وعبد المنعم إدريس وبن عيسى الدمني وعبد الرؤوف

النّجار.



سنة

STAR
تأمينات
عمل علينا

60 سنة،
هكذا هكّا بيك

star.com.tn

لماذا لطم قابيل هابيل؟ الصراع الندائي - الندائي يشل الدولة

• بقلم رشيد خشناة

حيرة التونسيين

بين صبر الشاهد وتلك المشاهد، ضاعت بوصلة التونسيين، فلم يفهموا ما يدور في البيت الندائي، ولماذا لطم قابيل هابيل، ولماذا ردّ هابيل الصاع صاعين؟ كما لم يدركوا خفايا الصراع بين الشاهد والوزير المُقال. في الواقع تبلور اصطفاً جديداً بين الأطراف الموقّعة على وثيقة قرطاج، انقلب موجبه اتحاد الشغل من السند الرئيس للحكومة إلى المطالب الرئيس برحيلها، مُستندا على أرقام الاخفاقات الاقتصادية والاجتماعية، التي اعتمدها قيادة «النداء». وتلغثمت باقي المنظمات الوطنية والأحزاب المشاركة، أو لاذت بالصمت، فحلّ نوع جديد من الاستقطاب، قائم على ثنائيات كبرى: اتحاد الشغل / الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة، و«النداء» / «النهضة»...

في المُحصلة تضععت الحكومة بفعل الصراع الندائي - الندائي، وبات ظهرها مكشوفاً بسبب الرماح التي استهدفتها، وهو ما يفتّ من عضدها ويضعف قدرتها على التفاوض مع الأطراف الخارجية في ظرف دقيق كهذا. وأمام الخطر الإرهابي الذي مازال يشكل مصدر تهديد حقيقي للبلاد، لا سيما بعد انتهاء الحرب تقريبا في سوريا والعراق، يغدو الانشغال بالمناكفات بين الأحزاب والمشاحنات الداخلية قلّة شعور بالمسؤولية واستخفافا بمصالح الدولة. وبنيني على ذلك انتشار سلوك عام يتسم بالاستهتار وعدم الانضباط، لمسه في عدّة تحركات عبر جهات البلاد، فالمتمخضون يُساهمون في تعميق تلك المواقف الحاطة من هيبة الدولة والمُسوّقة للفضوح، بحجة الحقّ في المعارضة. ولو لم تكن لدينا مؤسسة عسكرية وأخرى أمنية محترفتان تضطلعان بمهمة احتواء الظاهرة الإرهابية لكان وضعنا لا يختلف كثيرا رُجماً عن بعض جيراننا. قُصارى القول إن الاختناقات التي تُطبّق على أنفاس الاقتصاد، بدءاً من التجارة الموازية وعجز المؤسسات العمومية، مروراً بإفلاس الصناديق الاجتماعية، وانتهاء بأزمة صندوق التعويض، تستوجب الكف عن التناهش بين الغرماء، والتحلّي بالمسؤولية لإقامة خطوط دفاع تقي البلاد من مخاطر الغرق التدريجي والنزول إلى جحيم الفوضى. **ر.خ.**

لا يُضمر «مطامح شخصية»، في إشارة للانتخابات الرئاسية 2019، غير أنّ ذلك التعهّد لا يكفي «النهضة» على ما يبدو، خاصة أنّ الأمر أتى بعد احتكاكات بين الحزبين أثناء الانتخابات البلدية الأخيرة، مُدكراً بكونهما المتنافسين الكبارين في الساحة. ولا شكّ في أنّ العلاقات بينهما لن تكون بعد نتائج الانتخابات البلدية مثلما كانت قبلها. وأنت إقالة وزير الداخلية لثريخ غريم الشاهد الأول من الحكومة، الذي كان يتحدّى رئيسه ويرفض الانضباط لتعليماته. واكتست التنحية أبعادا اقليمية أوسع من الدائرة التونسية، إذ سبق للوزير المُقال أن حظي بمعاملة استثنائية خلال الزيارة التي أداها للسعودية على مدى خمسة أيام، فخصّصت له طائرة خاصة وحظي باستقبال الملك سلمان وولي العهد (الحاكم الفعلي للبلد) محمد بن سلمان. وذهبت التسيريات إلى حدّ الترويج لكونه اجتمع مع بن علي في السعودية. وفي جميع الأحوال، أباقت الزيارة عن اهتمام المحور الإماراتي السعودي باختراق الحكومة لإحداث «توازن» مع ما تعتبره ميلا للكفة لصالح «النهضة»، المتحالفة مع قطر وتركيا. وبالرغم من أنّ الوزير المعزول لم يكن طرفا في الصراعات الداخلية لـ«النداء»، إلا أنّ المدير التنفيذي تبناه وكان يُناصره في مواجهة رئيس الحكومة، وهناك من يقول إنّه كان يُعده لخلافته.

ما موقف رئيس الجمهورية ومؤسس الحزب، وهو الذي اختار الشاهد لرئاسة الحكومة في سبتمبر 2016، وبارك أيضا تسمية نجله على رأس إدارة حزب «النداء»؟ اكتفى رئيس الدولة في الاجتماع الأخير للموقّعين على وثيقة قرطاج بمعاينة الخلاف الذي يشقّ المحيطين بالمائدة، فعلق الاجتماعات ممّا يعني استمرار حكومة الشاهد، بوصفها حكومة الأمر الواقع. أمّا عزل وزير الداخلية فلا شكّ أنّه تمّ بضوء أخضر من الرئاسة، التي تحتفظ كما هو معروف بالإشراف على حقائب الدفاع والأمن والخارجية، وهو ما عزّز مواقع رئيس الحكومة... رُجماً مؤقتاً، لأنّه لا شيء يمنع رئيس الجمهورية، المتعلّم في مدرسة بورقيبة، من شكر الوزير الأول اليوم وإقالته غدا. أمّا الشاهد فالظاهر أنّه صبر على خصومه طيلة الفترة الماضية، كي لا يتمّ التشويش على الاستعدادات للانتخابات البلدية، ومسح الهزيمة المحتمومة في ثيابه.

تفرق

البلاد في دوامة أزمة سياسية لا سابقة لها منذ إقرار النظام السياسي الحالي بمقتضى دستور 27 جانفي 2014، كان آخر مؤشرات عزل وزير الداخلية. تختلف الأزمة الراهنة عن الأزمة التي انتهت برحيل حكومة الحبيب الصيد في 2016، لأن الأخير مستقلّ، فلم تتعزّ القيادات الحزبية مباشرة في خيوط الأزمة. أمّا في هذه المرة فيتعلّق الأمر بحرب أهلية بين أجنحة الحزب الحاكم، تدور رحاها في ثلاث دوائر هي الحزب والحكومة والكتلة البرلمانية، ولا يُستبعد أن تتوسّع في المستقبل إلى المستشارين الندائيين في الدوائر البلدية التي حصدها فيها حزبهم أعلى الأصوات.

من المشاهد غير المألوفة في الأنظمة الديمقراطية أن نرى مساعدي المدير التنفيذي للحزب الحاكم يقصفون رئيس حكومتهم «هم» بالأسلحة الإعلامية الثقيلة، وهو يتحاشى الضربات في صمت. وعلى مدى أكثر من سنة كان مستشارو المدير التنفيذي يظهرون في الإعلام ليقولوا في رئيس الحكومة ما لم يقله مالك في الخمر، وليطالبا جهرا بإقالته. وبينما يسعى المدير التنفيذي لحزب «النداء» إلى الإطاحة برئيس الحكومة، القيادي في الحزب نفسه، يعمل هذا الأخير على إحداث تغيير نوعي في قيادة الحزب يُبعد المناوئين له، على أمل استكمال مهامه على رأس الحكومة حتى موعد الانتخابات المقبلة. هذا الصراع قديم، وتزامن بروزه على سطح الحياة السياسية مع انطلاق ما سُمّاه رئيس الحكومة بـ«الحرب على الإرهاب» التي لم تكن سوى إحدى تجلّيات الصراع الندائي/ الندائي.

انسلاخات على موجات

لم يكن رئيس الحكومة طرفا مباشرا في سلسلة الصراعات التي هزّت حزبه، وجعلت عددا هاما من قياداته ينسلخون منه، ويُنشئون كيانات جديدة. ولو دققنا في دوافع الانشقاقات لألفينا أنّ أساسها صراع على قيادة الحزب منشؤه عدم قدرة المدير التنفيذي على فرض الهيبة والانضباط، لأنّه لم يأت من انتخابات داخلية، ولا هو قاد قوائم الحزب إلى نصر في انتخابات عامّة. وهكذا فإنّ «معركة الشرعية» لم تبدأ مع رئيس الحكومة، وإنما مع سلاسل

المنسليين والمنتقدين المطالبين بإعادة ترتيب شؤون البيت من الداخل. أكثر من ذلك، تؤكّد مصادر ندائية أنّ الخلافات اندلعت قبل «الحرب على الفساد» وأنّ شرارتها انطلقت مع رفض رئيس الحكومة الاستجابة لقائمة تسميات أحوالها إليه المدير التنفيذي، وهو سلوك تكرر أكثر من مرّة، على ما يقول هؤلاء. في النتيجة ضاق الشاهد ذرعا بتدخّلات المدير التنفيذي في عمل الحكومة، فأخرج الصراع إلى العلن، مع أنّ فصوله وتفاصيله كانت حديث الشارع منذ أكثر من سنة. وفي الجوهر لا وجود لخلاف بين جناحي «النداء» على أحقية حزبهم في الاحتفاظ بأغلبية الحقائق الوزارية، حتى بعد فقدانه أجزاء هامة من كتلته البرلمانية في السنوات الأخيرة.

تقاسم دوائر النفوذ

كان هناك نوع من تقاسم دوائر النفوذ على قاعدة «الحزب لك والحكومة لي»، على أن تبقى الكتلة البرلمانية حكما بين الأخوين المتقاتلين. لم تصمد تلك المعادلة بسبب تفكك الكتلة وغلبة الاعتبارات الشخصية قبل السياسية لدى المنشقّين عن النداء. وفي ميزان الربح والخسارة يُعتبر هذا العنصر في غير صالح المدير التنفيذي لأنّه يُجرّده من إمكان حجب الثقة عن الحكومة في البرلمان، خصوصا أنّ حليفته «النهضة»، التي يحتاج لأصواتها لتشكيل أغلبية، تقف موقفا مختلفا تماما، مُتشبّثة علنا ببقاء الحكومة. ويُعزى هذا الخيار إلى الوضع المريح الذي تتمتع به الحركة حاليا، فهي تتحكّم عمليا في الحقائق الاقتصادية، سواء من خلال مستشارين في رئاسة الحكومة، أو من خلال حقائب وزارية. وهي تعلم أنّها لا يمكن أن تضمن أنّ رئيس الحكومة المقبل سيمنعها وضعها ماثلا. ورُجماً ما يزيد من مخاوفها أنّ «المحافظين الجدد» في النداء يعتبرون الشاهد مُفترطا ويتوعدون باستعادة الحقوق الضائعة من خلال الحكومة التي يعملون على تشكيلها، لكي تحلّ محلّ الحالية. والمسألة الوحيدة التي تُشيع القلق لدى «النهضة» هي احتمال تفكير الشاهد في الترشح للانتخابات الرئاسية المقبلة، ولذا نرى تركيزا استثنائيا من حركة «النهضة» على هذه المسألة للحصول على أكثر ما يمكن من الضمانات، كي يتعهّد الشاهد بالامتناع عن ارتكاب هذه «الكبيرة». وفعلا عبّر الشاهد أكثر من مرّة عن كونه

خُصَّاصٌ خُفَايَا الثُّورَةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي مَخَابِرِ الشَّرْطَةِ الْفَنِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ

ظهرت الشرطة الفنية والعلمية في العالم من أواخر القرن التاسع عشر وكان أول من بعث مختبرا للشرطة العلمية في العالم هو الأستاذ في الطب الشرعي الفرنسي إيدمون لوكار (1877 - 1966) وذلك سنة 1910 بمدينة ليون الفرنسية . وأحدث أول مختبر في أمريكا الشمالية بكندا سنة 1914 من طرف ويلفرد ديروم وهو كندي مختص في الإجرام . ولتونس أيضا شرطتها الفنية والعلمية التي كانت تشتغل منذ عهد الاستعمار في أواخر القرن التاسع عشر وكانت تسمى مصلحة التعريف العدلي وتطورت بعد الاستقلال لتصبح قاطرة هذا الاختصاص في إفريقيا والعالم العربي . ومواكبتها للتطور التكنولوجي في الميدان لا تزال تحتل اليوم مكانة مرموقة في العالم بفضل خبرة إطارتها . وقد التقى ليدرز العربية بالسيد جمال بن سلامة مدير الشرطة الفنية والعلمية بوزارة الداخلية وشهير قديم رئيس الإدارة الفرعية للمخابر الجنائية والعلمية ضمنها ليتحدثا عن هذا الهيكل الأمني الهام وإنجازاته. ←



• إعداد: خالد الشابي



CHERY
FUN TO DRIVE

LA CHERY A VOTRE IMAGE



CAMERA DE RECU



RÉGULATEUR DE VITESSE



TOIT OUVRANT



Showroom STA Tunis : Z.I Borj Ghorbel - 2096 Ben arous Tunisie
Tél. : +216 31 390 290 - Fax : +216 31 390 301
E-mail : contact@stautos.tn
www.chery-tunisie.com

Showroom STA Sfax : 30 rue Taleb Mhiri, Immeuble 4 saisons
Tél. : +216 31 390 290 - Fax : +216 31 390 301
E-mail : contact@stautos.tn

Showroom DISTRICARS Sfax : Rue Pavlov, Z.I Poudrière 1 Sfax
Tél. : +216 74 286 285 - Fax : +216 70 032 800
E-mail : contact@districars.tn



الفنية والعلمية هي هيكل أمني هامّ وحساس يعتبره المختصون ذاكرة كلّ أجهزة الأمن الوطني وكلّ أجهزة الدولة الرسمية تقريبا،

ويقول مديرها إنها إدارة تساوي لديها جميع شرائح المجتمع مهما كانت منزلتها وتعمل في مجالات عدّة منها السوابق العدلية والاسترشاد والأبحاث الإدارية وهي الجهة الرسمية في الدولة التي تعنى بتحقيق العدالة الجنائية من خلال البحث عن الأدلة الجنائية وإجراء التحاليل والاختبارات الفنية التي تعهد إليها من طرف مختلف المحاكم والسلط الأمنية، وهي المرجعية في إسناد جوازات السفر، وإنجاز بطاقات التعريف الوطنية حيث قامت الإدارة الفرعية للتعريف الوطني بداية من سنة 1993 الى اليوم بانجاز حوالي 10 ملايين بطاقة تعريف وطنية، كما تقوم بتنظيم الترتيبات في اختصاصات الشرطة الفنية والعلمية وتقديم الإرشادات الفنية. ومن أهم إنجازاتها الأخيرة إصدار البطاقة عدد 3 عن بعد وذلك منذ سنة 2016 وهي من مشمولات الإدارة الفرعية للتعريف العدلي. وأصبحت هذه الخدمة متوفرة للتونسيين المقيمين في تونس وفي الخارج بحيث يحصل المواطن على البطاقة عن طريق البريد في حدود 5 أيام دون الحاجة إلى التنقل إلى مركز الشرطة وطلبها بالطريقة العادية التي تتطلب منه الانتظار أسبوعا على الأقل ويتحمل المواطن مبلغا إضافيا ليغطي خدمات البريد المقدّرة بـ 6 د و 700 ملم في تونس وبـ 42 للخارج.

وتضمّ الإدارة ثلة من الإطارات الذين يتمتّعون بالخبرة اللازمة في عملهم لأنّ هدف هذه الإدارة، حسب مديرها، هو إيجاد الحلول المطلوبة منها بفضل خبرة أبنائها المعروفة عالميا والتي اكتسبها بتفتحهم على كلّ التجارب العالمية المتطورة في أمريكا أو فرنسا أو ألمانيا أو اليابان أو الجزائر... ويذكر مدير الإدارة أنّ الإسبان التجأوا إلى هذه الخبرة في العملية الإرهابية بمديرد سنة 2004 وكانت مشاركة الخبراء التونسيين في التحقيقات ناجحة وناجعة وساعدت في اكتشاف الرأس المدبّر للعملية. وفي نوفمبر سنة 2016 تكوّن في تونس في مجال اختبار الوثائق فريق من خبراء إسبان في التّديس وحصلوا على خبرة في مجال الخطّ العربي واختاروا تونس لكفاءة خبرائها في المجال وهذا اعتراف أوروبي بالمستوى المرموق للمخبر الجنائية التونسية. وفي نفس الإطار أكد مدير الإدارة أنّ الخبراء التونسيين هم الذين حقّقوا في العمليتين الإرهابيتين بارادو وسوسة وتعرفوا على هوية الضحايا الأجانب الذين قتلوا في العمليتين رغم أنّ فرقا من الشرطة الفنية الفرنسية والبريطانية والألمانية قدمت إلى تونس على أساس مساعدة الأجهزة التونسية التي كانوا يعتقدون أنّها غير قادرة على القيام بمهامها على الشكل الأمثل لكنهم عندما اكتشفوا كفاءة الخبراء التونسيين والوسائل العلمية والتكنولوجية التي يستعملونها انسحبوا جميعا وبلغوا الإدارة شكرهم واعترافهم بالمستوى العالمي للعمل خاصة وقد تمّ مدّهم بنتائج التحقيق في التعرّف على الضحايا في وقت قياسي.

ويبحث عن مزيد تطوير عمل هذه الإدارة أفاد مديرها أنّ هناك مشروعا في طور الدرس يتعلق بإحداث معهد وطني للأدلة الجنائية يكوّن الإطارات التي تعمل في الشرطة الفنية ويجري البحوث والاستشارات في المجال ويطور التكوين ويكون مستقلا ماليا وله موارده الذاتية من خلال استخلاص تكاليف الاختبارات التي يقوم بها للقطاع الخاص ويصبح منصّة تكوين في تونس وإفريقيا.

المخبر الجنائية والعلمية

تضمّ الإدارة في هيكلتها الإدارة الفرعية للمخبر الجنائية والعلمية التي أحدثت سنة 1997 وهي كما يعرفها رئيسها سليلة مصلحة المخبر الحديثة منذ 1974، وتعنى بالبحث عن الدليل المادي للجريمة وتقديمه للعدالة، حيث تتولّى معاينة مختلف مساح الجرائم، ورفع الآثار المادية وإخضاعها إلى مختلف الاختبارات كاختبار البصمات واختبار الوثائق واختبار الأسلحة والاختبارات الرقمية ومختلف التحاليل كالتحليل البيولوجية والتحليل الكيميائية وتحليل الحرائق والمتفجرات وذلك للوصول بالآثار المرفوعة من مسرح الجريمة إلى مرتبة الدليل المادي، وقد تمّ تعزيزها بالموارد البشرية والمادية بقصد تطوير مختلف الاختصاصات في مجال العلوم الجنائية حيث اعتمدت التحاليل الجينية منذ سنة 1998 من خلال التعاون مع مخبر التحاليل البيولوجية بمستشفى الحبيب ثامر تحت إشراف الأستاذة راضية القسطلّي وذلك إلى حدود سنة 2009 تاريخ تركيز مخبر متطور جدّا للتحاليل الجينية مقرها. كما تمّ إحداث

المخبر نذكر الجرائم المعلوماتية ولدى الإدارة الخبراء القادرون على اختبار الأجهزة الرقمية والهواتف والحواسيب وبطاقات الذاكرة والأقراص الصلبة والفلش ووسائل التواصل الاجتماعي. ويتمّ اختبارها في قضايا التحليل أو التهديد أو الابتزاز أو الإرهاب.. فعلى سبيل المثال أجرى الخبراء عدّة اختبارات على هواتف جواله لأطفال انتحروا وتأكدوا أنّ السبب هو التأثير بلعبة الحوت الأزرق.

ويتميّز الخبراء العاملون في المخبر في تونس، حسب رئيس الإدارة الفرعية، بقدرتهم على العمل ميدانيا في مسرح الجريمة وداخل المخبر وقد تمّ تكوينهم لهاتين المهمتين نساء ورجالا، علما وأنّ 40 بالمئة من هؤلاء الخبراء والمسؤولين هم من الإناث. ويعمل الجميع وفق «بروتوكولات» معيّنة خاصّة بكلّ مهمة وحسب المعايير الدولية. فهناك مثلا بروتوكول خاصّ بمعاينة مسرح الجريمة وبروتوكول خاصّ بتخزين العينات (لدى

الإدارة منذ 2009 حوالي 20 ألف سمات جينية مخزّنة) وبروتوكول لاستقبال المحجوز وبروتوكول لنظام التقييم.. الخ. وتتعهّد هذه المخبر سنويا بحوالي 12 ألف قضية من كامل الجمهورية في مختلف الاختصاصات كالبصمات والحمض النووي والوثائق والمعاينات... وككلّ مهنة فإنّ مهن المخبر الجنائية لها مخاطرها أيضا والتي يمكن أن يكون مصدرها العينات التي تؤخذ من الجثث إذا كانت مصابة بمرض معدّ أو عند التعرض للأشعة ما فوق البنفسجية المستعملة كثيرا في المخبر رغم وجود وسائل الوقاية وهو ما قد يسبّب الإصابة بمرض السرطان ويمكن أن يأتي الخطر أيضا من مسرح الجريمة خاصّة بالنسبة إلى الحرائق والمتفجرات.

ولمزيد إضفاء المصداقية وإشعاع المخبر في الخارج يسعى المسؤولون عنه إلى الحصول على معيار الجودة إيزو 17025 في الفترة القادمة. خ.ش

قضايا مثيرة باشرتها الشرطة الفنية والعلمية

اللباس أو الجسم حتّى بعد إزالتها. ومَر كل واحد من هؤلاء الأشخاص بالاختبار وكان من بينهم امرأة فكشفت الاختبار انتشار بقع الدّم في كَفّ يدها... ولمزيد التأكيد وقع اختبار ظهر اليد فكانت نفس النتيجة. وعندما سألتها المحقّق عن مصدر الدّم دخلت في حالة هستيرية ثمّ اعترفت بأنّها هي القاتلة، علما أنّها كانت مارست لسنوات طويلة الأبحاث في قضايا إجرامية، وذكرت أنّها لم تكن لتعترف بارتكاب الجريمة لو لم يجابهها أعوان الشرطة الفنية والعلمية بالدليل القاطع. وقد بدأت الشرطة الفنية والعلمية في استخدام هذه الوسيلة الجديدة سنة 2008 وذلك سنة بعد استخدامها على النطاق العالمي.

قتلته وقطّعت جثته إربا إربا

في سنة 1999 تمّ العثور على يد شخص ثمّ على ساق في بئر مشاركة بولاية زغوان. قام الخبراء في البداية بالتحليل الجيني وكشفوا عن الحمض النووي للضحية وحددوا عمره ما بين 35 و50 سنة وانتظروا العائلات التي ستبلّغ عن غياب أحد أفرادها في نفس الفترة. وبدأت البلاغات ترد على الإدارة وكانت كل عائلة تتقدّم للشرطة بلاغ يتمّ تحليل الحمض النووي ومقارنته بحمض الضحية. وفي اليوم السابع

هذه عيّنة من قضايا مثيرة تمكّنت الشرطة الفنية والعلمية من فكّ رموزها وإمطة اللثام عن مجرياتها بفضل خبرة أبنائها واستعمالهم طرقا حديثة في الاستقصاء والتحري خاصة تقنية تحليل الحمض النووي التي مثلت إضافة كبيرة، باعتبارها تقدّم دليلا ماديا للقضاء. ولم يكن بالإمكان الوصول إلى الجاني أو الجانية لو تمّ استعمال الطّرق التقليدية في البحث:

70 طعنة... اختبار وانهايار

في سنة 2016 قتلت امرأة رجلا متقاعدا بطعنه حوالي 70 طعنة بسكين. كان ذلك في آخر الأسبوع وعندما عاد ابنه الذي كان يعيش معه إلى البيت ليلا وجده مقتولا. تكفّلت الشرطة الفنية والعلمية بالقضية وبدأ التحقيق مع المحيط القريب من الضحية بعد إلغاء بصمات الابن الموجودة في المنزل وتمّ التعرف على آخر 20 شخصا حدث بينهم وبين الضحية اتصال هاتفي خلال الـ 24 ساعة السابقة لعملية القتل. دعي الأشخاص العشرون إلى مقرّ المخبر الجنائية على أساس أنّه إذا كان القاتل بينهم يمكن التعرّف عليه باستعمال مادة كيميائية في غرفة معتمّة يوضع فيها المتهم تكشف بقع الدم على



من انطلاق العملية تقدّمت عائلة للتبليغ عن اختفاء ابنها فتبيّن أنّ الضحية من بينها وذكرت الأم أنّ ابنها الغائب كان يعمل في الخارج وهو مطلق وله منزل محلّ تنازع مع زوجته. أتت الفرقة بالزوجة وبالتحرّي معها اعترفت بأنها خذرتة ثمّ قتلته انتقاما منه وذلك بالتعاون مع صديقها ثمّ قطعت الجثة إلى قطع، ولطمس سمات الوجه وضعت الرأس في ماء مغلى ثمّ بعد ذلك رمت الرأس واليدين في قريص ورمت بقية الجثة في بئر مشاركة . وبيّنت الأبحاث أنّ الزوجة كانت جارة المدعوّة «محرزية» في الكبارية وهي المرأة التي قتلت زوجها وقطعته إربا إربا سنة 1980 وألقت بأجزاء الجثة في أماكن مختلفة .

مادّة علقّت بأظافر الضحية كشفت الجانية

في فيفري 2003 عاد شاب إلى البيت ذات ليلة بعد مشاهدته في أحد المقاهي مباراة ودية في كرة القدم بين تونس والسويد. وجد باب المنزل الكائن بالمدينة الجديدة من ولاية بن عروس مفتوحا وهو يعيش بمفرده مع والدته ولمّا دخل وجد أمه جثة هامدة وهي تحمل عديد الطعنات باله حادة. تمّ إيقاف الابن على أنّه المظنون فيه الوحيد في البداية خاصّة وأنه كان عاطلا عن العمل وله مشاكل مع والدته بخصوص محلّ يريد تشغيله تجاريا وكذلك لأنّ الفرق المختصة لم تجد سوى بصمات الأم والابن في البيت. تمّ التحقيق مع الأقارب والأشخاص الذين تعودوا زيارة الضحية ولكن دون جدوى. لكنّ الفريق المختصّ رجّح أن تكون قد حصلت مشادّة بين القاتل والضحية نظرا إلى أنّ المرأة بدينة نوعا ما وقد تكون دافعت عن نفسها فتمّ القيام بالتحليل الجيني لما عثر عليه في أظافر الضحية وتبيّن أنّه حمض نووي لامرأة.



ومن خلال ابنها تعرّف المحقّقون على أسماء عدّة نسوة تتعاملن مع الضحية التي كانت تتاجر في بضاعة تأتي بها من تركيا إلى جانب المتاجرة بالمصوغ. وتمّ استدعاء النسوة للبحث ولمّا تمّ التحقيق مع المرأة الرابعة في الترتيب وخضعت للتحليل الجيني تبيّن أنّ الحمض النووي متطابق مع الذي اكتشف في أظافر الضحية . وفي بيتها وجد المحقّقون كمية من المصوغ في قطعة قماش وعليها آثار دم تبيّن أنّه دم الضحية واعترفت المظنون فيها بأنّ بينهما تعامل أفضى إلى خلاف لكنّها أنكرت أن تكون قتلتها وقد حكمت عليها المحكمة بالسجن مدى الحياة لأنّ الإثبات بالحمض النووي كان آنذاك جديدا .

سرقة امرأة مسنّة في قرطاج واغتصابها

حدثت القضية سنة 2005 بقرطاج عندما دخل شابان إلى منزل امرأة مسنّة تسكن بمفردها، تبلغ من العمر 79 سنة وتشكو من عجز حرّي. أخذوا من بيتها مبلغا ماليا يقدر بـ 30 ألف دينار وكمية من الذهب تقدر قيمتها بحوالي 30 ألف دينار أيضا وقيل خروجهما من المنزل اغتصابها . تمّ التحقيق في القضية وتحديد الحمض النووي للمعتدين ولم تكن السمات الجينية للجانيين مخزّنة في المخبر آنذاك. لكن بعد ثلاث سنوات جدّت سرقة في قرطاج وتمّ القبض على متهم في حملة أمنية عادية والتحليل الجيني تبيّن أنّه من سرق المرأة المسنّة واغتصبها . وقد استعمل المال المسروق في شراء جزء من البيت الذي يقطنه الجاني ووالدته.

اغتصاب عجوز القيروان وقتلها

هي امرأة مسنّة من القيروان من مواليد 1931 كان عمرها أثناء الاعتداء عليها 80 سنة. اغتصبها الجاني ثمّ قتلها وبالتحرّي تمّ القبض عليه وهو شاب من مواليد 1994 في ظرف يومين من خلال التحليل الجيني وكان من الأشخاص المقربين منها . أنكر في البداية ما نسب إليه لكن لما ووجه بالحجة اعترف . والحجة كانت تطابق السمات الجينية لآثار السائل المنوي على الجثة والسمات الجينية للمظنون فيه.

قتل صديقته ورمائها في مصبّ نفايات

في نوفمبر 2017 اكتشف « البرباشة » في مصبّ نفايات في المروج 6 جثة امرأة في كيس. المرأة من مواليد 1979 أدّت التحريات إلى اتهام صديقها بالقتل . وتمّ تحليل عيّنة من الخيط الذي ربط به الكيس قصد اكتشاف السمات الجينية للشخص الذي قام بربطه وتبيّن أنّ صاحب الفعلة صديقها الذي تطابقت سماته الجينية مع السمات المكتشفة في الخيط . واعترف الجاني أنّه قتلها في فندق شعبي (وكالة) بالعاصمة ثمّ وضع جثتها في كيس ورمائها في مكان جمع النفايات. ■

الأستاذة راضية القسطلّي

رائدة تحليل البصمة الوراثية بواسطة الحمض النووي في تونس

الجمهورية. ثمّ أنشأت مخرّا آخر لأمراض فقر الدم واكتشفت في بحوثها أصنافا لمرض فقر الدم حسب الجهات مثل تونس و صفاقس وجندوبة. وهما دائما حسب تعبيرها خدمة تونس والرفع من صيتها ومكانتها وإثبات قدرة أبحاثها على مواكبة التطور. وفي سنة 1980 انتقلت للعمل في مستشفى الحبيب ثامر بالعاصمة رئيسة لقسم التحاليل الطبية . وكانت تتعامل في إطار عملها مع الشرطة الفنية . وكان التعامل في البداية يتعلّق فقط بمعرفة فصيلة الدم للعينات التي تقدّمها لها الشرطة العدلية والشرطة الفنية والعلمية والتأكد من أنّ العينّة لإنسان وليست لحيوان . لاحظت الأستاذة القسطلّي أنّ تلك التحاليل المطلوبة آنذاك لا تعطي نتائج دقيقة وحاسمة وتزامن ذلك مع بداية استعمال البصمة الوراثية باعتماد الحمض النووي ADN في فرنسا سنة 1996 . وما أنّها كانت مطلّعة على التقنيات الجديدة ولمزيد التعمّق سافرت إلى فرنسا سنة 1997 لتلقّي تكوين في مخبر مختصّ في مدينة نانت . وبعد عودتها ورغم عدم توفر التجهيزات الضرورية بعد في المخبر طوّرت بنفسها طريقة يدوية لتحليل البصمة الوراثية استعملتها حتّى سنة 1999 وأعطت نتائج ساعدت التحقيقات. وفي سنة 2000 اقتنت تجهيزات جديدة لمخبر التحاليل الطبية بالمستشفى وكان لها الفضل في شراء آلة الكشف عن ADN ضمن تلك التجهيزات (séquenceur d'ADN).

وتوكّد الأستاذة القسطلّي أنّها تطوّعت لمساعدة وزارة الداخلية (الشرطة الفنية



من هي ؟

تحدثنا الأستاذة راضية القسطلّي عن نفسها فتقول إنّها تكوّنت في كلية الصيدلة وفي معهد باستور بباريس أيضا وفي المستشفيات الفرنسية واختارت العودة إلى تونس سنة 1971 بعد انتهاء تكوينها رغم العروض التي تلقّتها للبقاء في فرنسا وهدفها خدمة الوطن. انطلقت في العمل في معهد باستور بتونس وتركت بصمتها هناك بعملها وبالجديد الذي أضافته. كانت مهتمة خاصة بأمراض تخثر الدّم فبعثت أول مخبر لأمراض تخثر الدّم يقوم بكلّ التحاليل التي كانت ترسل من قبل لفرنسا ويقدم خدماته لكلّ المرضى بكامل تراب

المرأة التونسية عبر التاريخ أدوارا هامة في بناء تونس. ويخلّد التاريخ منذ عهد عليسة (221 ق م) إنجازات عزيزة عثمانة وبشيرة بن مراد رائدة



الحركة النسائية في تونس، وتوحيدة بن الشيخ أول طبيبة عربية تونسية 1936، وغيرهنّ من النساء اللاتي قدّمن جليل الخدمات للبلاد. واليوم لنا أن نضيف إلى القائمة رائدة في مجالها ، البيولوجيا، وهي أول من أدخل تحليل البصمة الوراثية بواسطة الحمض النووي في تونس ضمن التحاليل البيولوجية. وهذه المرأة رائدة في مجال اختصاصها هي الصيدلية والبيولوجية الأستاذة راضية القسطلّي .



والعلمية (جبا لتونس لتكون ضمن الدول المتقدمة في هذا المجال رغم وجود معارضة آنذاك من بعض الأطراف . وتشدد على أنها تحددت كل الصعوبات من أجل إنجاز هذا المخبر وساعدها في ذلك حب رجال الشرطة الفنية لعملهم وتفانيهم فيه وخاصة السادة عبد الوهاب السباعي وجمال بن سلامة وشهير قديم ولطفي العبيدي، والذين كانوا يقضون معها ليالي بيضاء في مباشرة بعض القضايا . وتقول إن المهم لديها هو أن يكون لتونس مخبر ADN ونجحت في ذلك وبدأ المخبر بالعمل لفائدة وزارة الداخلية وفائدة التحقيق الخاص بوزارة العدل وأعد المخبر تحاليل في قضايا مثل القتل والاعتصاب وإثبات النسب. وكانت الأستاذة القسطلية تقتصد في المادة الفعالة عالية الثمن والمستوردة من الخارج والضرورية للتحليل والتي تستعمل كميتها لكشف 200 حالة فطوّعت نفس الكمية لكشف عن 600 حالة. ونظرا لتفانيها في العمل وجديتها كرمتها وزارة الداخلية اعترافا بفضلها على الشرطة الفنية والعلمية التي أصبحت اليوم تقوم بكل تحاليلها الجينية في مخبرها بصورة مستقلة وطوّرتها وأضافت إليها الكثير. وقبل الإحالة على التقاعد كوّنت الأستاذة راضية القسطلية سنة 2010 عديد الإطارات في الشرطة الفنية والعلمية إضافة إلى بعض الفنيين في مخبرها بالمستشفى لتتنقل خبرتها إليهم حفاظا على تواصل العمل مع تواصل الأجيال وليحملوا المشعل بعدها ، وهو ما تمّ فعلا .

إنجازات رائدة أخرى

في سنة 1975 أنشأت مخبرا لفائدة عمليات زرع الأعضاء يتكفل بالقيام بتحليل أساسي قبل الزرع وهو تحليل التعرف على الخصائص الفردية للمريض للتأكد من تطابقها مع خصائص العضو الذي سيزرع . HLA

ومن الإنجازات الأخرى المميّزة للأستاذة القسطلية بعثها مخبر ADN للخيول في مستشفى الحبيب ثامر أيضا في إطار التعاون مع المؤسسة الوطنية لتحسين وتجويد الخيول وتمكنت من تصنيف آلاف الخيول الأصيلة العربية والإنقليزية وأصبح لكل جواد بطاقة تعرّف به وتحمل سيماته الجينية . وبهذا وفّرت المؤسسة الأموال الضخمة التي كانت تصرفها لمعرفة فقط فصيلة دم الخيول في

بروتوكول معاينة مسرح الجريمة

يتميز عمل المخابر بالدقة والمنهج العلمي الصارم لذلك أعدت الشرطة الفنية والعلمية بروتوكول إجراءات مضبوط لكل اختصاص حسب المعايير الدولية يتبعه الخبراء في عملهم ولا يحدون عنه. ومن شأن هذا البروتوكول المساعدة على حصول المخابر على علامة الجودة في المجال. ويحدد البروتوكول مختلف مراحل المعاينة عند وقوع جريمة من الجرائم وهي:

- 1 - حماية مسرح الجريمة بالشريط العازل
- 2 - البحث عن الآثار
- 3 - ترقيم الآثار
- 4 - التصوير
- 5 - رفع القياسات والرسم البياني
- 6 - رفع مختلف الآثار المادية (البصمات - آثار بيولوجية - مواد كيميائية..).



في الذاكرة حتى بلغ عددها 17 قبرا في قضايا مختلفة في سنة واحدة . وذكّرت في هذا الإطار بعض القضايا منها قضية تتعلق بعاملة لدى فلاح في ماطر ادّعت بعد وفاته أنّه والد ابنتها التي كان عمرها آنذاك 17 سنة حتى تراث مع أبنائه وبعد سنة من وفاة الفلاح وإثبات النسب تمّ فتح القبر في المساء ولأول مرة تتأثر بهذا الظرف. وتتعلق القضية الثانية (ما بين 2007 و2008) بوفاة جنين في الشهر السابع لزوجين من السويد قدا إلى تونس للسياحة وطلب الأب الإبقاء على الجنين في غرفة الأموات في انتظار إتمام إجراءات تسفيره إلى السويد ودفنه هناك . إلا أنّه في إطار إجراء روتيني تمّ دفن جماعي لـ 17 جنينا ميّنا من أعمار مختلفة في مقبرة الجلاز وقد دفن الجنين السويدي معهم خطأ واكتشف ذلك عندما أرسل الأب لاستلام الجنين . فطلبنا ADN الأب والأم من السويد وتمّ فتح القبر واستخراج كل الأجنة منه وبالتحليل تمّ التعرف على بقايا الجنين البنت وأرسلت إلى والديها مع تقرير طبي مفصل ورغم محاولة التشويش على هذه العملية من طرف الصحافة السويدية على ما يبدو بدفع من شركة تأمين باعتبار أنّ بقايا الجنين المرسل هو لذكر وليس لأنثى إلا أن دقة ووضوح التحاليل وصدقها جعلتهم يتراجعون .

أما القضية الثالثة فحدثت في آخر سنة 2010 في بومهل عندما خرج صديقان للبحر وعاد أحدهما ولم يعد الثاني وبعد حوالي أسبوع ألقى البحر بجثة شاب على الشاطئ تعرّفت عليها عائلة الشاب المفقود على أنّه ابنها الذي كان يشتغل ميكانيكا وتمّ دفنه . لكن بعد أسبوع عثر على شابّ منتحر شنقا في شجرة في مزرعة في مرناق وعثر على بطاقة تعريفه معه وتبين أنّ الشاب الذي تمّ دفنه ليس الميكانيكي. وبعد شهر تقريبا تمّ فتح القبر وأخذ عينات من الجثة وتحليلها للتعرف على صاحبها.

خ.ش

مخابر جدّ متطورة للكشف عن الجرائم

تضمّ إدارة الشرطة الفنية والعلمية مخابر جدّ متطورة تسمح بمباشرة مختلف القضايا، بداية من قضايا السرقة العادية، ومرورا بقضايا القتل والمخدرات ووصولا إلى أحدثها وهي قضايا المعلوماتية وذلك لتقديم الأدلة الجنائية بصورة علمية قاطعة. وهذه المخابر هي:

- مخبر التحاليل البيولوجية: يحلل العينات المأخوذة من مسرح الجريمة والآثار التي يمكن استغلالها واستخلاص الحمض النووي من المحجوز والبصمة الجينية.
- مخبر التحاليل الكيميائية: يهتم بالحرائق ويتحدد أسبابها ونوعية المادة الحارقة، كما يحلل المتفجرات والمخدرات فيعرف المادة المخدرة ويصفها ويحدد تركيبها والمادة الفعالة ويكشف المخدرات الجديدة رغم أنّها غير مصنفة قانونيا .
- مخبر اختبار الوثائق: وهو معدّ لاختبار وثائق السفر والهوية والأوراق النقدية والعملات المعدنية واختبار الخط والإمضاءات وللبحث في أنواع التدليس المختلفة. ويعالج هذا المخبر حوالي 600 حالة تدليس في السنة و120 وثيقة سفر مزورة أو تأشيرة . وهذا المخبر هو المهندس للوثائق الوطنية ولعناصر الأمان فيها.
- مخبر اختبار الأسلحة والذخيرة: وهو المخبر الوحيد في تونس الذي يقوم بالاختبارات الباليستية والقانونية للظروف والرصاصات.
- مخبر الجرائم المعلوماتية
- مخبر الوصف الشبيه portrait robot
- مخبر مقارنة الصورة والصوت.



من يشكك في استقلال تونس كمن يشكك في الشمس في رابعة النهار

وآخر ما أدخل اللبلة على الحياة السياسية وعلى كثير من المواطنين هو ما صدر أخيرا من تشكيك في استقلال البلاد الذي تزامن مع الاحتفال بالذكرى الثانية والستين لاستقلال الوطن وكان المثبر لهذا التشكيك يقول للمواطنين، أن الإستقلال الذي تحتفلون به غير موجود وأن الاستعمار الفرنسي ما يزال واضعا يده على ثروات البلاد ويحتج على هذه الشكشة بوتائق يكفي لدحضها والرد عليها ما ورد في البيان الصادر بجريدة المغرب الغراء بتاريخ 22 مارس 2018 ص: 02 عن ستين أستاذًا جامعياً من خيرة أساتذة التاريخ ببلادنا يتنوا بالدليل القاطع بطلان ما يدعى في هذا الخصوص .

والسؤال الذي يفرض نفسه هو : لماذا عمدت هيئة الحقيقة والكرامة إلى إثارة هذا الموضوع في هذا الطرف بالذات وفي وقت كان فيه الشعب التونسي يحتفل باستقلاله الذي مرّ عليه اثنان وستون عاما دون منازع ولا مشكك وبعتراف فرنسا نفسها ؟

والجواب لا يخلو من أمرين :
• إمّا لجهل في قراءة الوثائق التاريخية وعدم معرفة مقارنتها ببعضها .
• أو لمحاولة تقوية مركزها في عملية التّمديد التي ينظر فيها مجلس النواب حتى توهم البعض أنّها هي التي ترعى مصالح الوطن وتدافع عن مكتسباته أكثر من الدولة ولذلك فإن عدم التّمديد لها يضرّ بهذه المصلحة إلا أنّ مجلس نواب الشعب قد عاملها بنقيض مقصودها وصوّت لعدم التّمديد .
إنّ ما أثارته هيئة الحقيقة والكرامة وبالتحديد رئيسها يتناقى مع الواقع ومع القانون .

فبمناقضاته مع الواقع : تتجسّم في كون هذه الأرض المرتبطة بوحدة جغرافية ذات حدود

الحملة إلا أنّ مجلس نواب الشعب كان في مستوى المسؤولية وصوّت لصالح هذا المشروع الذي أصبح مطبقاً الآن من قبل القضاء وانتفع به من ثبت حسن نيّته من هؤلاء الموظّفين . من الثابت أنّ دستورنا يحمي حقوق المواطنين وحريّاتهم وقد خصّص لهذا الموضوع باباً كاملاً وهو الباب الثاني الذي يبتدئ بالفصل 21 وينتهي بالفصل 49 وقد صمّنت هذه الفصول حرية الرأي والفكر والتعبير والإعلام والنشر والإضراب وأيضا الاجتماع والتظاهر السلميين .

إلا أنّ المشرّع لم يترك استعمال هذه الحقوق على عواهنه بل ضبطه دستورياً بآخر فصل ورّد باب الحقوق والحريات وهو الفصل 49 الذي أكد على أن القانون هو الذي يحدد الضوابط التي تمارس بها هذه الحقوق والحريات المضمنة بهذا الدستور ويبدو أنّ المشرّع الذي وضع هذا الفصل (49) كان يشير بذلك إلى القانون عدد 04 لسنة 1969 المؤرّخ في 24 جانفي 1969 المنظم للاجتماعات العامة والمواكب والاستعراضات والمظاهرات والتجمهر، ولذلك فإنه من واجب كلّ من يريد استعمال هذه الحقوق والحريات أن يراعي القوانين المنظمة لها إذ ليس من الدستور في شيء ولا من القانون أن يعمد مستعملو هذه الحقوق لتأييد مطالبهم إلى غلق الطرقات بالحجارة أو العجلات المطاطية المشتعلة لمنع المرور بها أو حتى بناء جدار فوق السكة الحديدية لمنع مرور القاطرات ممّا تتعلّل معه المرافق العامة المنتجة والتي تعتبر من أهمّ شرايين الاقتصاد التونسي مثلما وقع في بعض جهات الجمهورية . لا شك أنّ الحقوق والحريات مضمونة بالدستور إلا أنّ الدستور قيّد ممارستها باحترام القوانين المنظمة لها وهي معادلة حضارية تحمي الحقوق والواجبات .

كان المقصود من هذه الحملة هو إحداث اللبلة داخل المواطنين الذين من حسن الحظ لم يجاروها لأنهم أدركوا حقيقتها والقصد منها ولذلك انطفأت هذه الحملة تاركة حسرة في نفوس من تزعمها ومن جاراتهم فيها . ومن الحملات أيضا التي حاول أصحابها من خلالها تعكير صفو مسيرة البلاد هي حملة «منيش مسامح» هذه الضجة التي قام بها أصحابها ضد المبادرة التشريعية التي قام بها رئيس الجمهورية لإصلاح الأوضاع وطي صفحة الماضي هذه المبادرة التي تجسّمت في «قانون المصالحة الإدارية» والذي كان القصد منه إذابة الحاجز النفسي الذي كان مسيطرا على بعض المسؤولين الكبار في مختلف الإدارات والذي انقلب إلى خوف من اتخاذ القرارات اللازمة في الوقت المناسب في نطاق وظائفهم الإدارية وهو ما عطّل السير العادي للإدارة وأثر على كثير من الجوانب الاقتصادية بصورة خاصة وكان تخوفهم متولدا عن رؤيتهم لبعض زملائهم أمام القضاء الجزائري من أجل اتخاذهم قرارات إدارية بناء على تعليمات من رؤسائهم أو من رئيس الدولة في النظام السابق ولم ينفعهم حتى تمسّكهم بالفصل 42 من المجلة الجزئية.

إنّ شنّ هذه الحملة كان مصطنعا ومخالفا للقانون وللمبادئ الدستورية لأنه من الثابت أن الفصل 62 من الدستور يعطي لرئيس الجمهورية حق ممارسة المبادرات التشريعية باقتراح مشاريع قوانين والذي يفصل في هذه المشاريع هو مجلس نواب الشعب وليس الصّجيج أو التّجمهر بالشوارع ظنا أنّ ذلك سوف يؤثّر على إرادة نواب الشعب وبذلك تحصل النتيجة التي انبعثت من أجلها هذه

قد



إن ما يلفت النظر في المسار السياسي في بلادنا أنّه كلما بدأت الأجواء تميل إلى الهدوء إلا وانطلقت ادعاءات أو شعارات أو حملات لتعكيرها وهو ما يوحي بأنّه كأنها هناك قوى قد تكون داخلية أو خارجية لا تريد لهذه البلاد الاستقرار لإتهام مشوار الانتقال الديمقراطي الذي طال تحقيقه أكثر من اللازم. ففي مرحلة من الهدوء النسبي انطلقت حملات متعمّدة للتشكيك في نزاهة بعض المؤسسات وسمعة الدولة تحت شعار «وينو بتروبي» والحال أنّ الخاصّ والعام يعرف وضعية البلاد في هذا الموضوع وما تنتجه من كميات النفط والغاز إذ أنّ الحقائق منشورة على صفحات مواقع المؤسسات المعنية إضافة إلى ما يقوم به المسؤولون على هذه المؤسسات في بعض الأحيان من تقديم التفسيرات والتدقيقات عبر وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والسمعية. ←

• بقلم أ. النزهة القروي الشّابي

مضبوطة تعرف جغرافيًا باسم تونس أو البلاد التونسية هي دولة مستقلة ذات سيادة ويتجسّم استقلالها وسيادتها في توفر كل مقومات الدولة المستقلة فيها، وهذه المقومات المتفق عليها تتجسد في :

- جيش وطني يحمي حدودها وشعبها .
- مؤسسات تشريعية تصدر القوانين بكل حرية لحماية المتساكنين .
- قضاء وطني يطبق تلك القوانين يقضي بين الناس ويوفّر لهم الأمن والنظام .
- إبرام علاقات دولية مع بقية دول العالم من خلال التبادل الدبلوماسي .
- سلطة تنفيذية تدير شؤونها وترعى مصالحها .
- دستور محرّر من نواب الشعب ينصّ على الحقوق والحريات للمواطنين ويؤكّد على تفريق السلطات .
- علم يرفرف بانفراده يبعث النخوة والعزّة في نفوس الناظرين .

فكلّ هذه المقومات التي تتمتع بها تونس هي التي تجسّم استقلال الدولة التام وسيادتها غير المنقوصة. ما منافاته مع المبادئ القانونية فتجسّم في ما يلي :

إنّي لست من رجال التاريخ ولذلك فإنّه لا يمكن لي أن أتناول بالدرس الوثائق التاريخية التي انبرمت بين تونس وفرنسا من تاريخ الحماية يوم 12 مارس 1881 إلى الآن وثقتي كبيرة في أسادتتنا من المختصين في مادة التاريخ لينظروا في هذا الموضوع وقد قاموا به فعلا ولا يزالون لإنارة الرأي العام، لكن باعتباري باشرت مهنة المحاماة العظيمة لعشرات السنين فقد تكوّنت لي ملكة بسيطة لفهم النصوص القانونية ومواد الاتفاقيات الدولية والتي هي في الحقيقة قوانين ومعاهدات، بمثابة العقود التي تنظم العلاقات بين الدول.

فلو رجعنا إلى بروتوكول الاتفاق المبرم بين تونس وفرنسا في 03 جوان 1955 لوجدنا أنّ هذه الوثيقة ممخّصة وصريحة في منح تونس

الاستقلال الذاتي أي ممارستها الكاملة للسيادة الداخلية باستثناء الدفاع والشؤون الخارجية حسبما نصّ على هذا صراحة بالمادة الرابعة من هذه الاتفاقية لكن هذه الاتفاقية الموقعة يوم 03 جوان 1955 من ممثلي الدولتين فعن تونس السيدان الطاهر بن عمار الوزير الأول رئيس مجلس الوزراء والمنجي سليم وزير دولة وعن الجانب الفرنسي السيدان ادقّار فور رئيس مجلس الوزراء وبيار جولي July Pierre وزير الشؤون المغربية والتونسية، لم تعمّر إلا نحو الثمانية أشهر إذ فتحت مفاوضات جديدة في 27 فيفري 1956 تولّد عنها بروتوكول 20 مارس 1956 الذي اعترفت من خلاله فرنسا باستقلال الدولة التونسية استقلالاً تاماً وقد تجسّم هذا الإقرار بالاستقلال التام لتونس في :

- ما نصّت عليه الفقرة الثانية من بروتوكول 20 مارس الترجمة العربية حيث جاء بها : «وتؤكدان (يعني فرنسا و تونس) اقتناعهما بأنه بإقامة علاقتهما على أساس «الاحترام المتبادل والكامل لسيادتهما في نطاق استقلال الدولتين وتساويهما «تدعم فرنسا وتونس التضامن الذي يربط بينهما لأجل خير البلدين» وتنتهي هذه الفقرة باعتراف صريح من فرنسا باستقلال تونس حيث ورد بها في النسخة الفرنسية ما يلي :

La France reconnaît solennellement l'indépendance de la Tunisie

أبعد هذا الاعتراف الصريح وبعد مرور عشرات السنين يمكن أن يشكك مشكك في استقلال تونس أو يقول أنّ بروتوكول 20 مارس 1956 لم يأت بالاستقلال أو أنّه لم يلغ معاهدة 12 ماي 1881 والحال أنّ هذا البروتوكول قد نص صراحة على أنّ معاهدة 12 ماي 1881 أصبحت غير صالحة لإدارة العلاقات الفرنسية التونسية والتنصيص على عدم صلوحيّتها لإدارة العلاقات التونسية الفرنسية كان بناء على ما نصّ عليه بروتوكول 20 مارس المذكور الذي يضع حداً حتّى لاتفاقيات 03 جوان 1955 التي جاءت بالاستقلال الداخلي لتونس باعتبار أنّ تلك الإتفاقيات أصبحت لا تتلاءم مع الوضع الجديد لتونس باعتبارها قد أصبحت

دولة مستقلة ذات سيادة والتنصيص بالفقرة «ب» من البروتوكول على الجمع بين الإستقلال والسيادة التي أصبحت تتمتع بها الدولة التونسية كان مقصوداً لأنهما عنصران مكملان لبعضهما يجسّمان كيان الدولة الحرة المستقلة التي مصيرها بيدها.

وتجسّما لهذه السيادة والاستقلالية نصت الفقرة «ج» من البروتوكول على «مباشرة تونس لمسؤولياتها في مادة الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وكذلك تكوين جيش وطني تونسي» وهو ما قامت به في إبانه الدولة التونسية الحديثة إذ تونست الأمن يوم 18 أفريل 1956 وأصبح أمناً وطنياً كما كوّنت نواة الجيش الوطني التونسي وتمّ أول استعراض لبعض وحداته يوم 24 جوان 1956. استمرت الدولة التونسية في تجسيم سيادتها فانتخبت يوم 25 مارس 1956 المجلس القومي التأسيسي الذي عقد أول جلسة له يوم 08 أفريل 1956 برئاسة الزعيم الحبيب بورقيبة الذي تخلى عن هذه الرئاسة ليترأس يوم 14 أفريل 1956 أول حكومة بعد الاستقلال هذه الحكومة التي بادرت يوم 12 نوفمبر 1956 بالانخراط في منظمة الأمم المتحدة وموجب اتفاقية 07 مارس 1957 استرجع القضاء الوطني سيادته على كامل متساكني البلاد التونسية بعد أن تمّ الإعلان عن حذف المحاكم الفرنسية وإحالة اختصاصها إلى المحاكم الوطنية. ومما تجسّمت به سيادة الدولة التونسية واستقلالها هو إعلان النظام الجمهوري يوم 25 جويلية 1957 وإعلان استقلالها عن الفرنك الفرنسي وإنشاء عملة وطنية مجسّمة في الدينار التونسي الذي أصبح العملة الوطنية الوحيدة القابلة للتداول ببلادنا نفاذاً للقانون عدد 109 – 58 المؤرخ في 18 أكتوبر 1958.

إن كلّ ما سبق التعرّض إليه سواء من الناحية الواقعية أو القانونية يقيم الدليل القاطع على أنّ تونس دولة مستقلة ذات سيادة وأنّ من يشكك في ذلك هو كمن يشكك في الشمس في رابعة النهار. ■

ا.ق.ش

سباقون لأجلكم

FCA



ATB

البنك العربي لتونس

محترفون
في خدمتكم

عُلو في الحياة وفي الممات...

ودعت

الساحة العلمية والثقافية مؤخرًا الأستاذ الجامعي والمثقف والإعلامي والإمام الخطيب الدكتور كمال عمران الذي وافته المنية على نحو فاجأ أهله وأصدقاءه ومعارفه حتى أن كثيرًا ممن جاءهم خبر موته فزعوا فيه بآمالهم إلى الكذب. كيف لا وهو الذي طبع بحضوره القوي وفصاحته الأقتة كل ميادين النشاط التي خاضها وكل المحافل والمنشآت التي ارتادها. كان الأستاذ كمال عمران يملأ ساحات كلية الآداب بمثوبة وأروقتها ومدرجاتها حركة وحيوية، وافر العزم غزير النشاط معطاء، يدرس بحماسة منقطعة النظر ويقدم زادا دسما لا يحتاج معه الطالب إلى كبير استزادة من المراجع أو إطالة بحث واستقصاء وتنقيب. وكانت فصوله تكتظ بطلبة الفرق التي يدرس لها وبغيرهم من طلبة فرق أخرى يلودون بدروسه التماسا لما لم يظفروا به في فرقهم الأصلية فكانوا يُؤثون سُؤلهم وينالون طلبتهم، ولم يكن ذلك ليثير حفيظة زملائه من الأساتذة فلشد ما كانوا يقدرون علمه ويكبرون اجتهاده وينزلونه بينهم أرفع المنازل.

وهو إلى ذلك من الأساتذة القلائل الذين كانوا في ذلك العهد لا يستكفون من محادثة الطلبة ومباحثتهم خارج فصول الدرس وخارج ساعاته فتره محاطا بهم في حلقات نقاش قد يطول ويمتد إلى أن يداهم جميعا موعد بداية الدرس الموالي ، ولذلك كانت آمال كثير من طلبة الأساتذة آنذاك معلقة على الانضمام إلى عداد الباحثين المسجلين تحت إشرافه في شهادة الكفاءة في البحث. وقد أشرف في تلك الشهادة على عدد كبير من البحوث في اختصاصات مختلفة، فمن «فتاوي مجلة الهداية» إلى «الأسطورة في شعر خليل حاوي»، ومن «التجربة الروحية عند التوحيدي» إلى «دلالة الوطنية في شعر الشابي»، ومن «معنى التصوف في الإشارات الإلهية» إلى «فكر مالك بن نبي»، وهو لعمرى أمر نادر في التقاليد البحثية، ولعل من أسباب ذلك أنه كان من صفوة الأساتذة

المبرزين مما أهله ليدرس مسائل الأدب شعرا ونثرا مسائل الحضارة قديمها وحديثها بالقدر نفسه من التميز والإحاطة والإلمام. ومما أثر عن الفقيه قدرته الفائقة على الارتجال سواء أكان في مقام درس أم في مقام محاضرة، إذ هو يبلغ من إحكام إعداد موضوعه وإتقان مراحل وأقسامه وضبط إشكالياته ومراميه أن يلقه على سامعيه مسترسلا متتابعًا لا يحتاج في ذلك إلى مراجعة مذكراته أو تقليب النظر في أوراقه. أما قوة حافظته فكان طلبته القدامى ومايزالون يروون عنها المدهشات العجيبة الباهرة، فقد كان يستظهر أمامنا بعض فصول كتاب «الإمتاع والمؤانسة» عن ظهر قلب ويشرح لنا النص من النصوص فيقرأ منه الصفحة أو الصحتين دون الحاجة إلى النظر إليه فكان فقراته انتقشت في ذاكرته انتقاشا.

وقد لمس كل من عاشره و اختلط به دماثة أخلاقه و لين عريكته وشدّة تواضعه وتطوّعه لفعل الخير لا يرجو في ذلك جزاء ولا شكورا، وقد حدّثني السيّد الفاضلة رشيدة بويحيى أرملة الأستاذ الكبير الشاذلي بويحيى بأنه تطوّع في الآونة الأخيرة للعناية بالمكتبة التي خلّفها أستاذه الأعمى و ترميم ما تآكل من نفاثسها وفاء لأستاذه وبراً بتركته العلمية إلا أن المنية عاجلته قبل الشروع في ما كان أقر العزم عليه. كان متعقفا مترفعا لا يرغب في تولّي مناصب ولا يسعى إلى تبوؤ مواقع، ولكن نشاطه الدؤوب وكفاءته المشهود بها وتعدّد مجالات اهتمامه أهّلته لأن يُجتنب لإدارة بعض مؤسسات التعليم العالي والإشراف على القنوات الإذاعية الوطنية أو الاضطلاع بخطط استشارية في وزارتي التربية والتعليم العالي ثم لتولي وزارة الشؤون الدينية، فلم يأت إلى الوزارة من مسالك السياسة والتحرّب وإثما من مسالك العلم والثقافة والتفقه في الدين.

رحم الله الأستاذ كمال عمران، لقد كان مثالا للتفاني والجهد والاستقامة، وأسوة حسنة لكثير من طلبته : مربيًا فاضلا وعالما جليلا ومثقفا وطنيا.

د. الحبيب الدريدي

AVEC
VOTRE PLAN
D'EPARGNE
HORIZON,
FRUCTIFIEZ
VOTRE ARGENT
EN TOUTE
SÉRÉNITÉ

Rendement 2016
5,1%
net de frais
de gestion

• Placement à 100 % Garanti

Vous bénéficiez d'un Taux Minimum Garanti à vie

• Placement à 100 % Souple

• Placement à 100 % Gagnant

Votre argent est fructifié à un taux de rendement performant

Vous bénéficiez d'un cadre fiscal très attrayant avec une déduction annuelle d'un plafond de 10000 DT de primes d'assurance vie de votre revenu imposable. Ce qui vous permet de réaliser d'importants économies d'impôt !



Votre Protection...c'est notre métier !

Siège Social : Immeuble Assurances SALIM Lot AFH BC 5- Centre Urbain Nord - Tunis 1003

Tél.: (+216) 71 184 240/71 184 254 - Fax : (+216) 71 184 284

E-mail : commercial@salim-ins.com

Site Web : www.salim-ins.com

DAB hors site QNB, à votre service où que vous soyez.

Pour vous assurer plus de proximité et faciliter vos transactions bancaires, QNB met à votre disposition ses DAB hors sites installés : au Safsaf La Marsa, aux Aéroports de Tunis Carthage et d'Enfidha, aux stations-service Shell Sidi Daoud La Marsa, Shell La Soukra et prochainement à la station-service Shell El Medina Jadida.



هذه البطاقات تقبل هنا.
These cards are accepted here.
Ces cartes sont acceptées ici.

Appelez le 36 00 40 00 ou visitez qnb.com.tn



Appelez le 36 00 40 00 ou visitez qnb.com.tn

مئة الجريبي... نصاعة الثلج وصفاء النبع

26

شؤون وطنية

ناصدمة

كالثلج. صافية كالبلور. مُتقددة. كما العين الثاقبة. متناسقة كما القصيدة. تلك هي قامة مئة الجريبي، ذات الأبعاد العصبية على الإحصاء والعدّ. عرفتها في بواكير الثمانينات. فتاة نحيفة ورشيقة، مع حيوية لا تخطئها العين. هي أصغرنا سناً، إذ لم تتجاوز الحادية والعشرين. كانت تأتي من صفاقس، حيث تدرس البيولوجيا، للمشاركة في الاجتماعات والمشاورات



هي الزعيمة الوحيدة تقريبا، التي كانت تجوب مناطق البلاد قبل الثورة، لتحصد ما بذرتة صحيفة «الموقف» في الأوساط السياسية والنقابية. ولذلك لم يكن غريبا أن تنتزل المنزلة التي تبوأتها يوم 14 جانفي: مُعتبلة أكتاف المتظاهرين وشاهرة شارة النصر في قلب شارع بورقيبة.

في تلك اللحظات تذهب بك الذاكرة وأنت تتأمل الصورة، إلى نساء خالدات أمثال نور الهدى الشعراوي وجميلة بوحيرو ودولوريس إيبورري Dolores Ibárruri التي أطلق عليها الإسبان لقب الباسيوناريا La Pasionaria، وهي التي قادت الحزب الشيوعي الإسباني من 1942 إلى 1960، وكانت النائبة الجمهورية الوحيدة من بين أعضاء برلمان 1936 التي عادت إلى النيابة بعد عودة الديمقراطية في 1975. غير أن ميزة مئة أنها لم تسجن نفسها في قوالب عقائدية، وتعاطت مع الحياة في خصوصيتها وتووعها. ولذا لم تجد صعوبة في تجميع أعضاء المجلس التأسيسي من خارج نواب «الترويكا» حول شخصها لتخوض معركة كان الجميع يعلم سلفا أنها ليست منافسة، بقدر ما هي تأسيس رمزي وقهرين تطبيقي على أتباع التقاليد الديمقراطية السلمية. بهذا المعنى سيبقى الخطاب الذي ارتجلته بعد إعلان نتائج التصويت، وثيقة مرجعية.

إلى جانب دورها في المجلس التأسيسي، مضت إلى مهمة من أعقد ما واجهها من أدوار في حياتها، وهي إعادة هيكلة الحزب الذي عرف هزيمة غير متوقعة في انتخابات التأسيسي. واستطاعت فعلا أن تغدو بفضل قوة شخصيتها، العنوان المشترك لأكثر من ثلاثة أحزاب وسطية. تحت راية «الحزب الجمهوري»، الذي اختارها أعضاؤه في 9 أبريل 2012 زعيمة للحزب الجديد. لذا استهدفها الإرهابيون إذ عثر عناصر الأمن لدى الجماعات الارهابية على تخطيط مفصل لبيتها في رادس. وحتى لما كلفت السلطات مرفقا بحراستها، ظلت مئة تُخاطله وتقود سيارتها بنفسها لإنجاز مهمات أو للتنقل إلى مقر عملها، لأنها تُصر على ألا تحظى بامتيازات لا يحصل عليها المواطن العادي. ومنذ أن اجتاحتها المرض أصرت أيضا على التداوي في المستشفيات العمومية. كلمة أخيرة عن مئة الإنسانية التي كانت أول من يتعاطف مع المظلومين، فلم تترك جلسة من محاكمات أبناء الحوض المنجمي في قفصة إلا وحضرتها على رأس وفد من الحزب. ولم يتعرض شاب من حزبه للاعتقال إلا وسارعت لزيارة الأسرة مرّات عدّة، حتى غدت صديقة تلك العائلات. وعندما تشن راضية النصاروي إضرابا عن الطعام دفاعا عن زوجها، تكون مئة أول من يُناصر حتى تكاد تُقيم معها في البيت. وعندما يُسجن محمد عبّو تكون هي المتطوعة لنقل زوجته بسيارتها إلى السجن لزيارته... رحلت مئة لكن السنديانة مازالت هنا! 🇩🇪

رشيد خشانة

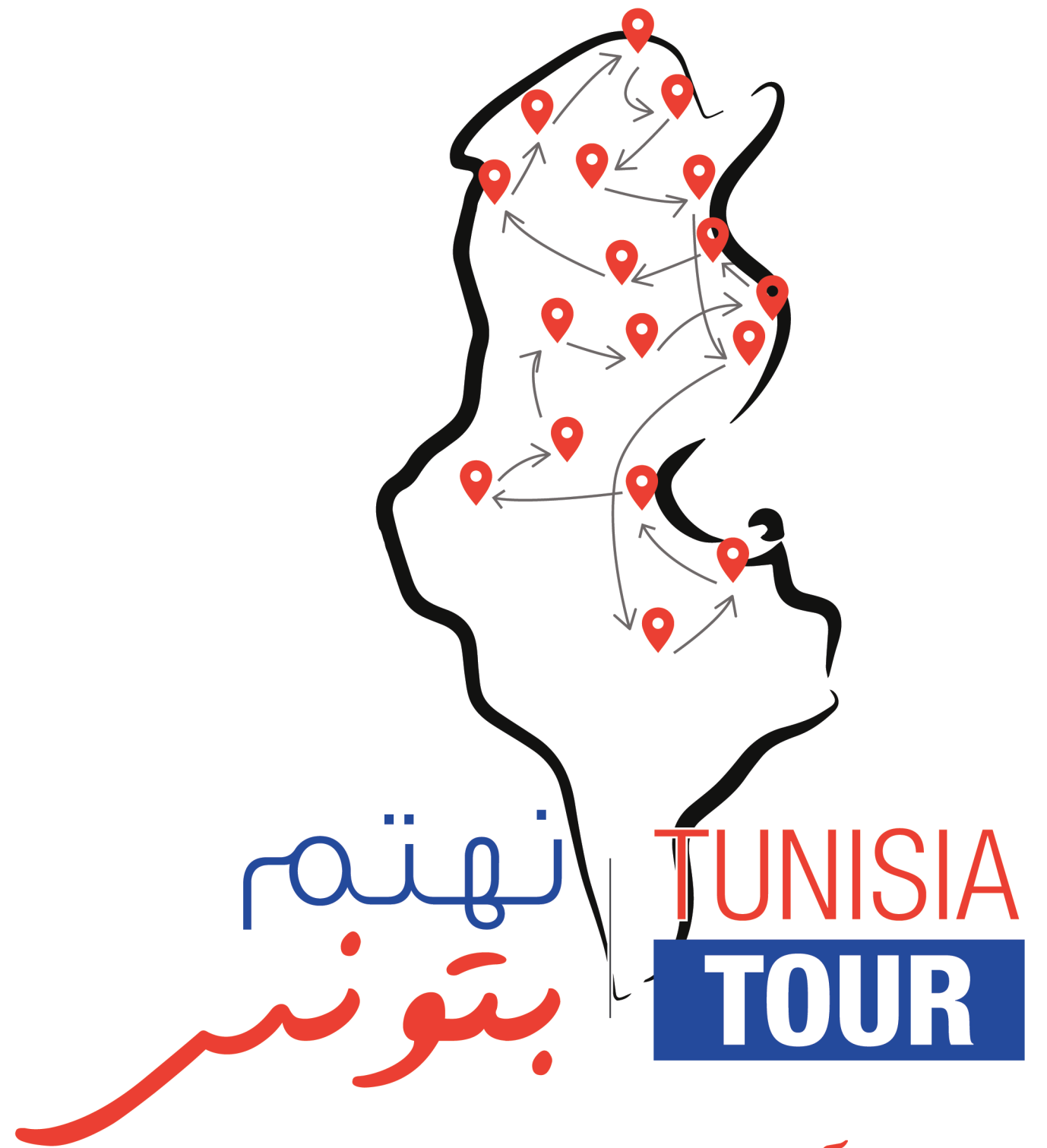
التمهيدية لتأسيس حزب يساري كبير. نادى شقّ بالاكْتفاء بداية بصحيفة تجمع المنتائر، فيما أصرّ آخرون على بعث حزب قانوني وطبي صفحة العمل السري، خاصة بعدما أجريت أول انتخابات تعددية في 1981. في الأخير أسس أكثر من أربعين وجها يساريا «التجمع الاشتراكي التقدمي»، الذي انبثق منه لاحقا «الحزب الديمقراطي التقدمي». كانت مئة من بين المؤسسين، وشكّلت مع عصام الشابي والتيجاني زايد وأمنة بن عثمان، الرافد الطلابي للحزب. ما أن أنهت دراستها في كلية العلوم بصفاقس، حتى عادت لتستقر في بيت الأسرة برادس. وأثناء بحثها عن شغل، تعرّضت في أدرج صحيفة «الرأي»، التي كان يُديرها المرحوم حسيب بن عمار، فأقنعها بالعمل في الصحافة. وجدت مئة في الصحيفة المستقلة مساحة فسيحة من الحرية. كانت المغامرة شديدة الإغواء. وكان كلّ ما تملك حفنة من إرادة وثقافة محترمة باللغتين العربية والفرنسية. انطلقت تسعى للقبض على الحلم وفتح نوافذ اللغد، فانتقلت بسلاسة من نافذة «الرأي» إلى نافذة «الموقف» بعد صدورها في ماي 1984.

لم تكتف مئة بالكتابة وإجراء الحوارات والتحقيقات، بل كانت تحضر كلّ فجر خميس، مع عصام الشابي، إلى حيث نصنع العدد الجديد في نهج القاهرة لينقله، على متن سيارة متهالكة، إلى المطبعة في المنطقة الصناعية بقصر السعيد. لم تستصغر مئة يوما مهمة عملية. كما لم تتهيب من المهام الجسيمة. رأت الفكرة التي حملتها طويلا تنساب في شارع الحياة وقمشي في شوارع الناس. احتضنتها بقوة، بينما كنا نتردد في حوض مغامرة ترمي إلى بعث الأمل في جسد نصف نائم. وبعدها أسدل التصخّر السياسي والفكري ستائر على نوافذ البلاد في تسعينات القرن الماضي، ظلت مئة تُسرح قناديل الأمل. لا تملك سوى جسدها ووقتها تهبها لتعبيد مسالك الحرية. وبعد توليها الأمانة العامة ل«الديمقراطي التقدمي» لم تتخلف أسبوعا واحدا عن القيام بزيارات إلى مختلف الولايات لحشد الأنصار وكسب الأعضاء الجدد، إلا إذا أقعدها المرض. وبالرغم من تواضع الإمكانيات كانت تُقدم على السفر إلى قابس أو قبلي لرؤية ثلاثة أو أربعة أشخاص فقط، لأنها كانت تؤمن بدور النواة الرائدة والقائدة. بهذه الروح تعاملت مع مناطق مثل القصرين وسيدي بوزيد، فكان لها إسهام نوعي في إنضاج الظروف لانتفاضة 17 ديسمبر 2010 في الولاياتين، وإن لم تتطرق وسائل الإعلام إلى هذا الدور. ينسى البعض أن مئة



• ولف بن إعداد عادل النحر

كأس العالم 2018 المنتخب التونسي بين ملحمة الأرجنتين و«جاين يا روسيا» «جاين»



أمي للتأمين
AMI Assurances

www.amitunisiatour.net

Tournée conçue et développée par Tunivisions Group



في يوم 2 جوان 1978
بالأرجنتين سجل تاريخ
الرياضة العالمية أول
انتصار يحققه منتخب
عربي وإفريقي في دورة
نهائية لكأس العالم لكرة
القدم. هذا الفتح الرياضي
العظيم كان من صنع
المنتخب التونسي بفضل
فوزه على المكسيك بثلاثة
أهداف مقابل هدف واحد
في مقابلة لا يزال الجمهور
التونسي يعيد مشاهدتها
بين الحين والآخر.
وبعد مرور أربعين سنة
على هذا الحدث، يأتي
ترشح منتخبنا إلى دورة
روسيا 2018، وكأنه
احتفال بذكرى ميلاد يربط
بين محطتين تاريخيتين،
ويعم الجسور بين جيلين
من الرياضيين، لاعبين
ومدربين ومسيرين.
وقد رأينا، وعيوننا وقلوبنا
على منتخبنا في روسيا،
بينما ذاكرتنا الجماعية
سارحة في الأرجنتين، أن
نخصص ملفاً يخزن أكثر
من نصف قرن من تاريخ
المشاركة التونسية في
كأس العالم (وقد بدأت
بالدار البيضاء يوم 30
أكتوبر 1960)، مع
وقفة مطوّلة عند
حدث الأرجنتين،
وزيارة إلى «الحديقة
الخلفية» لنبييل
معلول، المدرب الوطني. ←

رحلة الألف ميل تبدأ دائما بخطوة، ورحلة تونس إلى الأرجنتين 1978 كان منطلقها خطوة أولى عام 1960، وبالتحديد يوم 30 أكتوبر من تلك السنة، عندما أجرى منتخبنا الوطني (وكان يطلق عليه وقتها اسم «الفريق القومي») أول مقابلة في أولى مشاركة له في التصفيات التمهيدية لكأس العالم لكرة القدم، وكان ذلك بمناسبة دورة 1962 التي احتضنتها الشيلي.

المؤدب وشرف أول هدف

الانطلاق كان من الدار البيضاء في منافسة مع منتخب المملكة المغربية انتهت بانتصار المحليين بهدفين لواحد. وقد سجل التاريخ في ذلك اليوم رشاد المؤدب (من الترجي الرياضي التونسي) شرف صاحب أول هدف تونسي في مسابقة كأس العالم (دور التصفيات). وقد جاء هدفه في الدقيقة 43، رداً على هدف المغربي الخليفي (د 33)، لكن الأزهر بضربة جزاء (د 60) رجح الكفة لصالح المغرب.

انسحبت تونس دون أن تهزم

انتهت المبارات التأهيلية بنتيجة (2 - 1): أهداف الشتالي والتلمساني بالنسبة إلى تونس وشيشة بالنسبة إلى المغرب وهو ماجعل الفريقين يتساويان في النتيجة ذهابا وإيابا فوقع اللجوء عندئذ إلى مقابلة فاصلة أجريت يوم 22 جانفي 1960 في باليرمو (إيطاليا) باعتبارها أرضا محايدة. وأدارها الحكم الإيطالي المعروف «كونشيتو لوبيلو» انتهت بالتعادل (1-1). فلم يبق من حل، بحكم قوانين الفيفا السارية وقتها، إلا اللجوء إلى القرعة، فابتسم الحظ للمغرب، وخرجت تونس دون أن تهزم على الميدان.

الشتالي في الانطلاق وفي الوصول

ومن صدف التاريخ أن عبد المجيد الشتالي، الذي شارك كلاعب في أول مقابلة للمنتخب التونسي في نطاق التصفيات الأولية لكأس العالم وسجل هدفا في ثاني مقابلة، سوف يكون، بعد ثمانية عشر عاما، مدرب المنتخب في أول مشاركة له في دورة نهائية لكأس العالم (الأرجنتين 1978). ومن جميل الصدف كذلك أن يصاحب الشتالي إلى الأرجنتين، ضمن الطاقم الفني للمنتخب، توفيق بن عثمان، بصفته مدربا مساعدا، بعد أن اشتركا معا في مقابلة باليرمو الحاسمة ضد المنتخب المغربي في جانفي 1961... فلنكأن «الأرجنتين» جاءت، بالنسبة إلى الرجلين، لتعوض، بعد سنوات طويلة، سوء حظ «فريقنا القومي» في باليرمو!

من باليرمو إلى الأرجنتين

بعد باليرمو، ذهب منتخبنا مباشرة إلى تصفيات مكسيكو 1970 «قافزا» مع كل الدول الإفريقية، على دورة 1966 بإنجلترا، وذلك بسبب انسحاب القارة السوداء، احتجاجا على تعامل «الفيفا» معها، وذلك من خلال استمرار هذه الأخيرة في منح مقعد واحد مشترك بين إفريقيا وآسيا في الدورة النهائية.

وفي تصفيات «مكسيكو» 1970، وبعد تعادلين بين المنتخبين في الدور الثاني للتصفيات، وبنفس النتيجة (0-0)، وبعد مقابلة فاصلة في مرسيليا (2-2)، حكمت القرعة مرة أخرى على منتخبنا بالانسحاب.

وفي تصفيات «ألمانيا 1974»، تكرر نفس السيناريو إذ انسحبت تونس في الدور الثاني على يدي ساحل العاج (الكوت ديفوار حاليا): تعادل (1-1) بتونس في الذهاب وهزيمة (1 - 2) في الإياب بأبيدجان. وكان منتخبنا قد أراح في الدور الأول المنتخب المصري: هزيمة (1 - 2) في الذهاب بالقاهرة وانتصار (2 - 0) في الإياب بتونس.

وبعد أربع خيبات متتالية، جاءت «الأرجنتين 1978» لتحل عقدة تونس مع كأس العالم.

الأرجنتين 1978 - روسيا 2018

أربعون سنة من المدّ والجزر

استقرار الإطار وراء بعض النجاحات

تزامنت الفترات المضيئة للمنتخب في منافسات كأس العالم في أغلب الأحيان مع استقرار الإطار الفني. فعبد المجيد الشتالي وصل بفريقه إلى الأرجنتين بعد بقاءه ثلاث سنوات متتالية على رأس المنتخب (-1975 1978)، وهنري كاسبرجك البولوني قاد مجموعته إلى فرنسا 1998 خلال فترة إشرافه على النخبة الوطنية مدة أربع سنوات (1994-1998). أما الفرنسي روجي لومار فقد ذهب بالمنتخب إلى ألمانيا 2006 في إطار إشرافه على المنتخب طيلة ست سنوات (2002-2008).

وتمثل المشاركة في دوره «اليابان - كوريا الجنوبية 2002» الاستثناء لهذه القاعدة، حيث تداول على تدريب المنتخب أربعة مدربين فيما بين 1998 و 2002 (فرانسيسكو سكوليو-إيكهارد كراوتسن - هنري ميشال وعمار السويح)، أي معدّل مدرب كل عام.

المرحلة الأولى : غياب دام عشرين سنة

هي المرحلة التي تلت «الأرجنتين 1978» مباشرة واتسمت بغياب عن النهائيات على امتداد أربع دورات متتالية : إسبانيا 1982، المكسيك 1986، إيطاليا 1990، الولايات المتحدة 1994. لكن لا بدّ من الإشارة إلى أن المنتخب التونسي بلغ آخر مرحلة في التصفيات في مرتين على أربع، الأولى في نطاق كأس العالم 1986 (المكسيك)، وكان إقصاؤه على يد المنتخب الجزائري. أما الخروج الثاني في آخر مرحلة فكان في إقصائيات «إيطاليا 1990» أمام المنتخب الكامروني.

وفي تصفيات دورة «الولايات المتحدة 1994»، وصل منتخبنا إلى المرحلة قبل الأخيرة، لكنه ترك ورقة الترشح للمغرب بحصوله على المرتبة الثانية في مجموعته. وكانت أقصر مشاركة للمنتخب التونسي تلك التي سجّلت في تصفيات «إسبانيا 1982»، حيث خرج منذ الدور الأول بضربات الجزاء الترجيحية (4-3) بعد تعادل مع نيجيريا باحتساب مقابليتي الذهاب (2 - 0 لصالح تونس) والإياب (0-2) لصالح نيجيريا.

المرحلة الثانية : عودة الروح

شهدت هذه المرحلة ترشح المنتخب التونسي إلى الدورة النهائية ثلاث مرّات متتالية : «فرنسا 1998» (بعد غياب عشرين سنة بالتّمام والكمال)، «اليابان- كوريا الجنوبية 2002»، وألمانيا 2006». وللأسف كانت نتائج منتخبنا غير مقنعة في هذه الدورات، (6 هزائم و 3 تعادلات في الجملة)، مع الاكتفاء بتسجيل خمسة أهداف في تسع مقابلات، مقابل قبول خمسة عشر هدفا.

المرحلة الثالثة : غياب يتجدد

امتدّت هذه المرحلة على دورتين : «جنوب إفريقيا 2010» و«البرازيل 2014»، وقد «وصل المنتخب في تصفيات هاتين الدورتين إلى العين ولم يشرب»، إذ فرط في الترشح في المرة الأولى لنيجيريا بحصوله على المرتبة الثانية، وبفارق نقطة فقط، في مجموعة الترشح النهائي إلى جنوب إفريقيا ثم ترك للكامرون ورقة السفر إلى البرازيل بعد تعادل (0-0) في تونس وهزيمة في ياوندي (1 - 4).



وتأييدا لهذه الفرضية، يمكن التذكير بأن المنتخب التونسي، الذي كان غائبا في دورتي 2010 و 2014، قد عرف، فيما بين مغادرة روجي لومار في 2008 وخروج رود كروول في 2014 (بعد مقابلتين فقط)، تسعة مدربين في ستة أعوام، أي معدّل مدرب كل ثمانية أشهر، علما بأن فوزي البنزرتي وسامي الطرابلسي أشرف كلّ منهما على المنتخب مرتين في فترتين مختلفتين، ممّا يدلّ على التذبذب في اختيار المدرب الوطني.

وإذا عدنا إلى نظرية ابن خلدون «حول تعاقب الدول»، فمن حقنا أن نستبشر، بعد الترشح إلى «روسيا 2018»، بافتتاح دورة إيجابية جديدة في حياة منتخبنا تسيننا خيبات الماضي القريب.





FIFA WORLD CUP
RUSSIA 2018

بعيدا عن ميادين اللعب، ماذا يعرف الجمهور العريض عن كواليس المنتخب الوطني سوى تلك الصور العابرة التي تبثها القنوات التلفزية حول تدريبات المنتخب، أو تلك اللقطات السريعة عن تربيته وسفرائه، والتي تتخللها تصريحات من هنا وهناك للاعبين والإطار الفني؟ تلك الصور واللقطات، مع الفرحة التي تحتضنها الملاعب بمناسبة مباريات المنتخب، ما هي في الحقيقة إلا الواجهة الأمامية التي يشترك كل الناس في مشاهدتها. أما الحديقة الخلفية وما يعتمل فيها من تفاعلات وأحاسيس بين المدرب الوطني ولاعبيه وطاقمه المساعد ففضاء مغلق لا تسمع أصداؤه إلا عندما تتصدع في بعض الأحيان الوحدة الداخلية للمنتخب. إلى هذه الحديقة الخلفية، أو بالأحرى إلى ركن منها، ندعو قراءنا في هذا العدد، وذلك من خلال حديث مع نبيل معلول، يكشف فيه المدرب الوطني للجمهور بعضا من المظاهر غير المرئية لعمله، وهو يعد للذهاب مع المنتخب إلى روسيا، ويلقي الضوء على بعض الزوايا الخافتة في حياة المنتخب، وخاصة ما يتعلق منها بالمناخ النفسي العام للمجموعة، وأساليب تعامل المدرب مع لاعبيه ومساعديه...

نبيل معلول آخر كلامي للاعبين أدخلوا الفرحة على التونسيين

أحسن اللاعبين على الساحة، يجعل المنافسة موجودة دائما. وأرى شخصا أن التنافس هو من أهم العوامل التي تجعل اللاعب يتقدم ويبدل جهدا أكبر.

• نأتي الآن إلى المستوى التنظيمي: هل أنت من المدربين الذين يعتنون بكل شيء ويهتمون بأدق التفاصيل؟

نعم، أنا كذلك، لكن من حسن حظي أن معي طاقما كاملا ومتكاملا، بفضل ما توفره لنا الجامعة ورئيسها. فالمنتخب لديه فريق إداري ممتاز، وطاقم طبي ممتاز يتألف من سبعة أفراد، ولنا كذلك طاقم فني على مستوى عال جدا، وطباخان ومختص في التغذية... وأنا أتابع بدقة عمل هذا الفريق المتنوع وأنسق مع الجميع.

• ما هي مخاوف المدرب الوطني ليلة الذهاب إلى روسيا؟

أكبر المخاوف هي الإصابات، وخاصة بعد اضطراب يوسف المساكني إلى الانسحاب وكذلك طه ياسين الخنيسي. وأملنا هو أن نصل إلى يوم 18 جوان (موعد المباراة مع إنكلترا) بأقل اضرار ممكنة في هذا الباب.

•...ألا تعتبر عودتك إلى المنتخب بعد مغادرته في 2013 نوعا من التحدي؟

في عام 2013، كان تدريبي للمنتخب اختيارا خاطئا فيجب ألا ننسى أنني كنت خارجا في ذلك الوقت من عامين مع الترجي فزنا خلالهما بأربعة القاب على خمسة ممكنة، وبالتالي فقد وجد نوع من التحامل على الترجي مثلما يحصل لكل النوادي المتفوقة. وقد تحوّل هذا التحامل فيما بعد نحوني أنا شخصا عندما توليت تدريب المنتخب، سواء من قبل جماهير النوادي الأخرى أو بعض الصحافيين. لذلك أصبحت مهمتي صعبة على رأس المنتخب واضطرت إلى المغادرة.

قويا. فمن الممكن أن يكون لك فريق ممتاز على المستوى الفني، لكن دون انضباط لن تنجح معه، وفي المقابل يمكن بالانضباط وبفريق متوسط فنيا، أن تصل إلى نتيجة. وقد يبدو لنا في بلادنا أن المدرب متسلط عندما يفرض الانضباط، لأننا لم نتعود على ذلك في كرتنا.

• ما هو الخطاب الذي تتوجهون به إلى اللاعبين في مثل هذا الظرف من الإعداد لكأس العالم؟

إنه خطاب بسيط جدا: أطلب منهم أن يقدموا أقصى ما عندهم وأن يركزوا أشد التركيز، لأننا نلعب مع فرق أقوى منا على المستويين الفني والبدني، وإذا لم نركز من البداية إلى النهاية ولم نبذل أقصى ما نملك من جهد، فذلك سينعكس حتما على المردود وعلى النتيجة. أنا لست من المدربين الذين يلومون اللاعب على تمريرة خاطئة أو إضاعة ضربة جزء أو خطأ فادح يتسبب في قبول هدف، لكني لا أتسامح في كل ما يتعلق بالانضباط التكتيكي، ويمكن أن أخرج لاعبا من الميدان منذ الدقائق العشر الأولى من المباراة إذا أحسست بأنه ليس مركزا بنسبة مائة بالمائة أو ليس منضبطا تكتيكيًا مائة بالمائة. فالإرادة إما أن تكون عند اللاعب أو لا تكون، بينما الخطأ قد يحدث عرضا.

• كيف تتعامل مع ظاهرة التنافس بين اللاعبين، سيما وأنك إزاء لاعبين بتقارب مستواهم؟

لو كانت المنافسة غير موجودة لعملت على إيجادها، لكن واقع المنتخب، باعتباره يضم

• نبدأ، لو سمحت، بالإعداد النفسي للاعبين، باعتباره أحد جوانب عمل المدرب في الكواليس والتي لا يراها الجمهور.. فما هي المقاربة التي يتوخاها نبيل معلول مع لاعبيه على مستوى العمل النفسي؟

الإعداد النفسي للاعبين عامل ذو أهمية كبرى بالنسبة لي، لأني أرى، حسب تجربتي كلاعب وكمدرب، أنه كلما كان المدرب قريبا من اللاعب، يقدم هذا الأخير أقصى ما عنده من جهد. ولا شك أن الإعداد البدني والتكتيكي هام، لكن الإعداد النفسي أهم، خاصة ونحن كعرب، يسيطر علينا الجانب العاطفي ونعطي العواطف أهمية كبرى. لذلك أعول، شخصا، تعويلا كبيرا على هذا الجانب، وذلك بأن أكون قريبا من اللاعبين وأصارعهم بالحقيقة وجها لوجه، والعين في العين، وأستمع إلى آرائهم عندما يناقشونني في الأمور الفنية. كما أحاول دائما أن أرفع من قيمة اللاعبين في نظر أنفسهم وأن أقنعهم بأنهم «أحسن ناس»، وتلك هي الحقيقة، بما أنهم موجودون في فريق يضم النخبة. كما أعمل على اقناعهم بأنهم قادرين على الانتصار على أي منافس كان...

•... لكن المعروف عن نبيل معلول أنه حريص جدا على الانضباط. ألا يتناقض ذلك مع ما تقوله عن قربك من اللاعبين؟

في هذا الموضوع بالذات، أنا أصارع اللاعبين وأفهمهم لماذا يجب أن يكونوا منضبطين، لأنه لا يمكن، دون انضباط، أن تبني فريقا

نبيل معلول كان حاضرا في تصفيات 1986 و1990

نبيل معلول، المدرب الوطني الحالي، كان حاضرا كلاعب في تصفيات دورتين متتاليتين لكأس العالم: «المكسيك 1986» و«إيطاليا 1990». وقد شارك معلول في سبع مباريات من ثمان في إقصائيات الدورة الأولى، وفي تسع مباريات من عشر في تصفيات الدورة الثانية، وسجل في نطاق هذه الأخيرة هدفا حاسما ضد الزاير في تونس جاء عن طريق ضربة جزاء وحقق انتصار تونس (1-0).

وقد لعب معلول تحت إشراف ثلاثة مدربين هم: يوسف الزواوي (تصفيات المكسيك 1986) وطوني بيشنتراك والمختار التليلي (تصفيات إيطاليا 1990).



• فيما بين مغادرتك في 2013 وعودتك في 2017 كيف كانت علاقتك بالمنتخب، سواء من خلال تحاليلك التلفزيونية أو تصريحاتك الصحافية؟

كنت أتابع الفريق عن كثب باعتباري محللاً، وقد حللت مشاركته في دورتين من كأس إفريقيا للأمم، وكنت عملياً أعرف كل شيء عن المنتخب.

• وهل كنت موضوعياً حقاً في تحاليلك؟

بالطبع، كنت موضوعياً: فعندما يوفق المدرب (ليكانس أو كاسبرجك) أقول إنه ووفق، وعندما لا ينجح لا أستعمل عبارة «فشل»، لأني أعلم أن المدرب قد بذل، ليصل إلى ما وصل إليه، جهداً كبيراً، فأقول فقط إنه لم يوفق. وهنا لا بد أن يفهم كثير من الناس أن ما يعده المدرب من خطط ينجح في مقابلة ولا ينجح

في أخرى. والمدرب الناجح هو الذي يصادف النجاح اختياراته أكثر من غيره.

• على ذكر اختيارات المدرب، هل تعتقد في صحة مقولة إعادة اللعب بنفس التشكيلة ما دامت منتصرة؟

هذه القاعدة لا تصح على المنتخب الوطني، حيث أن لكل مقابلة حقيقتها، ثم إن الذي

نبيل معلول و«الأرجنتين 1978»

«في أربعين سنة كل شيء تغير»

الرسوم التكتيكية، بحيث أصبحت المساحات أقل، واللعب أكثر سرعة.

• ألا تعتقد أن عبد المجيد الشتالي حالفه كثير من

الحظ في الترشح إلى الأرجنتين، وعلى الأقل من

حيث توفّر نخبة من اللاعبين المتميزين في جيل

واحد لم تتوفّر لغيره من مدربي المنتخب؟

لست متفقاً بالمرة مع هذا الرأي، فقد قام سي مجيد وسي توفيق (بن عثمان) بعمل جبار لإيصال ذلك الفريق إلى الأرجنتين. إنهما مدربان كبيران أحترهما كثيرا، وقدما الكثير لكرة القدم التونسية. وربما لم تكن لتونس أن تترشح لو كان في التدريب فريق فني آخر. صحيح أنه كانت لنا نخبة من اللاعبين الممتازين، لكن هناك مدربين كثيرون مروا بالمنتخب وكان تحت تصرفهم لاعبون متميزون كذلك، لكنهم لم يحققوا نتائج إيجابية. واليد وحدها لا تصفّق، فلا بد من لاعبين جيدين، ومن فريق فني جيد، ومن إدارة على مستوى عال، لكي يتحقق النجاح. وأشير هنا إلى وجود أشخاص، مثل سي فؤاد المبرّع، وزير الشباب والرياضة آنذاك، وسي سليم علولو، رئيس الجامعة، أسهموا في مثل هذا النجاح.

• هل لك اتصال بعبد المجيد الشتالي؟

نلتقي أحيانا أو نتخاطب بالهاتف. وقد كنّا معا كمحللين في «بين سبور»، لكنّه غادر منذ عامين، إلا أننا مع ذلك لم نقطع الاتصال، وننتهاتف من حين لآخر، وأستشيريه أحيانا في أمور تتعلق بالمنتخب.

دعونا المدرب الوطني نبيل معلول إلى التذكّر والمقارنة بشأن «الأرجنتين 1978»، فكانت أجوبته على النحو التالي:

• كيف عشت «الأرجنتين 1978»؟ وما الذي بقي راسخا بذهنك من ذكريات ذلك الحدث الرياضي؟

كان عمري وقتها خمس عشرة سنة وكنت لاعب أصغر بالترجي الرياضي، وأذكر أنني شاهدت مباريات الأرجنتين أمام التلفزة في البيت صعبة الوالد، رحمه الله، والوالدة وأخي منير وبعض الأقارب. لكنني أعتقد أن الصور التي بقيت راسخة في ذهني أكثر هي صور مباريات التصنيفات، وأذكر بالخصوص المقابلة مع المغرب وتصدّي عنقوفة لضربة جزاء فراس، وقد تابعت المباراة صعبة الوالد من حافة الميدان. كما أذكر جيّد المقابلة الأخيرة مع مصر والأداء المتميز الذي قدّمه تميم يومذاك. وأعتقد أننا تفاعلنا، على امتداد عامين تقريبا مع أدوار التصنيفات، بينما كان حلم الأرجنتين يرافقنا.

• هل من مقارنة بين الأرجنتين 1978 واليوم؟ ما الذي تغير في الكرة عموماً؟

كل شيء تغير، لقد أصبح اللعب أقلّ جمالية فنيّة لكنّه أكثر تنافسية. كانت التدريبات تجري بمعدّل ثلاث أو أربع مرّات في الأسبوع، بينما نحن اليوم في حدود ست أو سبع حصص تدريبية أسبوعياً. لذلك فإنّ الأداء من الناحية الجسمانية صار أقوى. كما تغيرت من ناحية أخرى



عندما تمتدّ تحرّشات ترامب إلى الرياضة

من اللافت للنظر أن القمّة العربية التاسعة والعشرين المنعقدة بالظهران في 15 أبريل 2018 اتخذت قراراً يتعلق بـ«تقديم الدعم اللازم والمساندة الكاملة لترشّح المملكة المغربية لاستضافة نهائيات كأس العالم لكرة القدم لسنة 2026»، من منطلق «التأكيد على العلاقات الوثيقة والروابط العديدة التي تجمع بين الدول العربية، وحرصاً على دعم هذه الروابط وتوطيدها بما فيه خيرها وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمنيتها وآمالها».

والغريب، وإن كان ذلك منتظراً في ظلّ الأزمة بين الرباعي الخليجي المصري وبين دولة قطر، أنّ القمّة لم تنبس ببنت شفة، ولم تبد أيّ اهتمام بالعصفور الذي في يد دولة عربية، وأعني بذلك احتضان الدوحة المُقرّر لنهائيات كأس العالم لكرة القدم لسنة 2022، وراحت تدعّم محاولة الفوز بعصفور آخر ما يزال التنافس قائماً على اصطياده...

وأنا إذ أتمنّى، من الأعماق، لمسعى الشقيقة المملكة المغربية التي تترشّح للمرّة الخامسة لاستضافة هذه النهائيات أن يكمل بالنجاح، فإنّي ما زلت أذكّر أنني عايشة في الثمانينات من القرن الماضي ترشحها الأول لاحتضان هذه التظاهرة العالمية حيث كنت أعمل شخصاً ثانياً بسفارة تونس بالرباط، وقد قلت يومئذ، ومنذ ذلك الحين، إنّ الفوز بتنظيم هذه التظاهرة الأكثر شعبية في العالم بالإمكان أن يكون أقرب وأيسر لو أن الترشّح لها كان مغارياً، أي جامعاً بين تونس والجزائر والمغرب...

وأنا ما أزال عند هذه الفكرة، خاصة وأنّ أكبر ترشّح منافس للترشّح المغربي، هذه المرة، هو ترشّح ثلاثي التركيبة، حيث أنّه يضمّ كلا من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك... وبقطع النظر عن نتيجة التصويت خلال اجتماع الجمعية العمومية للاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) يوم 13 جوان في موسكو، ينبغي أن نلاحظ أن «تحرّشات» الرئيس الأمريكي غريب الأطوار دونالد ترامب لم تقتصر على السياسة الدولية والاقتصاد العالمي، بل امتدّت أيضاً إلى الرياضة حيث أنّه وجّه تهديداً مبطناً إلى الدول التي قد لا تؤيد الترّشّح الأمريكي الكندي المكسيكي، وترجّح كفة الترّشّح المغربي على كفته، فلقد جاء في إحدى تدويناته: «سيكون من المخجل أن تعارض الدول التي نساندها دائماً عرض الولايات المتحدة. لماذا يتعيّن علينا مساندة هذه الدول بينما هي لا تسانداً (بها في ذلك في الأمم المتحدة)؟. لقد قدّمنا ملفاً قوياً بالاشتراك مع كندا والمكسيك لاستضافة كأس العالم 2026. سيكون عاراً على الدول التي ندعّمها دائماً أن تعارض هذا الملف. لماذا يتعيّن علينا مساندة هذه الدول بينما لا نحصل على دعمها».

وليس لي من تعليق على هذه التدوينة المتعجرفة المتخترسة سوى: ولله في خلقه شؤون... م.أ.ح.

بهم، وأنت تجمع اللاعبين الدوليين لفترة قصيرة، هو «فورمة» كل منهم في تلك الفترة، فهي التي تحدّد اختياراتك. طبعاً، هناك دائماً هيكل قارّ في التشكيلة، لكن التركيبة النهائية في كلّ مقابلة تتغيّر حسب عامل «الفورمة»، كما قلت، وكذلك حسب المنافس وحسب الظروف المحيطة بهذه المباراة أوتلك. فالتشكيلة التي واجهت مصر مثلاً ليست التشكيلة التي لعبت ضدّ الكونغو. ففي المقابلة الأولى ركّزت على لاعبي الترّجى لأنهم كانوا خارجين من موسم متميّز وأحرزوا البطولة. ولما خرجوا من كأس إفريقيا وانخفضت معنوياتهم عولت على لاعبي النجم، وذلك قبل هزيمتهم أمام الأهلي.

• ما هو آخر كلام ستقوله للاعبين قبل أن ينزلوا إلى الميدان لمواجهة إنقلترا؟

سأقول لهم: إنكم ستلعبون ضدّ بلد من أكبر بلدان الكرة العالمية حالياً، وليس لكم ما تخسرون بل كلّ الرّبح لكم. العبوا لعبكم العادي وتمتعوا بما ستقدّمونه من أداء، طبّقوا كلّ ما اتفقنا عليه وابدلوا أقصى جهدكم. فكروا في الملايين من التونسيين الذين يتابعونكم ويساندونكم، فكروا في الفرحة التي ستدخلونها عليهم، وفرحتهم أهمّ من الانتصارات والألقاب. ع.أ.





في ظاهرة العنف بالقلاع الرياضيّة



• بقلم منجي الزبيدي

كيف يمكن لمباراة كرة قدم ، وهي نظرياً نشاط ترفيهي ، أن تؤدي إلى ممارسة العنف والتخريب؟ كيف تنقلب المنافسات الرياضيّة إلى مواجهات اجتماعية؟ كيف تتحوّل مناصرة فريق رياضي إلى هوية جماعية متعصبة؟ هذه أسئلة إشكالية يطرحها التفكير السوسولوجي في ما تشهده الساحة الرياضيّة في تونس من تعدّد مظاهر العنف المادي واللفظي وتجاوزها لأسوار الملاعب إلى السّاحات العامّة. ولما كانت الدّراسات غير كافية في هذا المجال، فإن ما يمكن تقديمه في هذه الحالة هو عناصر للتفكير وفرضيات للبحث. ←

أنّ العلاقة بين الرّياضة والعنف ليست حديثة بل تعود إلى العصور القديمة. وقد بين عالم الاجتماع الألماني Norbert Elias أنّ هذه العلاقة قد تطورت بتطور النّسق الحضاريّ وتحوّلات البنية الاجتماعيّة. كما أنّها ظاهرة منتشرة في عديد المجتمعات، ناهيك عن ظهور المجموعات المتعصبة التي تمارس العنف والاعتداء على الأفراد والتّجهيزات في البلدان الأوروبيّة وفي مقدّمتها مجموعات «الهوليغنز» و«حليقي الرؤوس» وغيرها...

والرّياضة من وجهة نظر سوسولوجيّة، وعلى النّحو الذي بلوره عالم الاجتماع الفرنسيّ Bourdieu Pierre، حقل اجتماعي له تاريخه ومنطقه الخاص. وتندرج فيه المنتجات والتّجهيزات وأشكال الاستهلاك ذات الطابع الرّياضي. وتتحدّد في إطاره الميولات والأذواق والاختيارات الرّياضيّة. ويشكّل كل ذلك عرّصاً اجتماعياً محدّداً (Offre sociale) يستجيب لطلب اجتماعيّ مُعيّن (Demande sociale)، كما أنّها تُمثّل رهاناً من رهانات الصّراع السياسيّ. ذلك بأنّ الرّياضة، وبخاصّة كرة القدم، أضحت اليوم نشاطاً مُعولماً، ومنظومة اقتصاديّة وماليّة ضخمة ومركّبة تتحكّم فيها مؤسسات الصناعة والاتّصال والترّفيه الجماهيريّ... وتُسيّرُها قوانين «الميركاتو» وشركات التّجهيزات الرياضيّة ومواقع الرّهان الرّياضيّ... وتتنافس على السيطرة عليها قوى المال والسياسة، ولم تعد الفرق الأوروبيّة الكبرى وبطولاتها جماهير الرياضة في العالم بأسره.

ومدرّجات الملاعب هي من وجهة نظر «التّفاعلية الرمزيّة» مساح في حدّ ذاتها. لها ممثلون وديكور وأزياء وموسيقى وأهازيج ورقصات وأكسسوارت... مسرح يُعبّر فيه المناصرون عن تعلّهم بهويّة جماعية تتمحور حول الفريق الذي يخوض باسمهم غمار «معركة»، إذ المباراة بالنّسبة لهم «معركة» بالفعل، يستعرض فيها كل طرف



قوّته وشجاعته ورجولته. لذلك تُركّز الأغاني والشعارات على معاني الجنس والموت والحياة وتعتمد لغة الغزو والحرب والإغارة...

ومدرّجات الملاعب مجتمع مُصعّر بقوانينه وتركيبته وصراعاته وثقافته. وقد بينت دراسات أجريت على جماهير كرة القدم أنّ توزيعها وتصنيفها يخضع لمنطق ذي مضمون اجتماعي. ففي المنصّات الشرفيّة يجلس الميسورون والمسيرون، وكلما نزلنا إلى أسفل انحدرنا في السّلم الاجتماعيّ فوجدنا الطبقات الضّعيفة والمهمّشة قريبة من «ساحة الوغي»، ناهيك أنّ مجموعات Sides وUltras هي التّواة الضلّية للمشجّعين، وهي تتشكّل من أبناء الفئات الشعبيّة المحرومة الذين عادةً ما ينتظمون في جماعات مغلقة تتحصّن في مُنعطف الملعب Virage.

والرّياضة فعل اجتماعي بالمعنى الذي قصده Max weber بما هو تعبير عن ارتباط السلوك الفرديّ بالسلوك الجماعيّ، كما هو الشّأن في تأثر سلوك المتفرج بسلوك غيره من المشجّعين في مباراة كرة قدم. أمّا من وجهة نظر علم النّفس الاجتماعيّ فالجمهور الرّياضيّ يخضع لقوانين سيكولوجيّة الجماهير التي بناها المؤسّسون من أمثال Gustave Le bon على فكرة الرّوح الجماعية التي تسيطر على الفرد وتخضعه لسلطة الجماعة فينساقي لها وهو فيما يشبه حالة التّنويم المغناطيسيّ. حيث يتخلّى عن خصاله الشخصية ليتبنّى سلوكاً جماعياً مُنفلتاً، ويشجّعه على ذلك شعوره بالقوّة المكتسبة بفعل العدد والكثرة، واحتمائه بوضعية النّكرة Anonymat للقيام بأي فعل لم يكن ليأتيه لو كان خارج ذلك التجمّع. وقد أضاف Freud إلى ذلك أهمية «المكبّوت اللّواعي» المرتبط «بالليبيدو» الجنسيّ في تعزيز وحدة الحشد أو الجمهور.

لا غرو إذ أنّ الرّياضة واجهة من واجهات المجتمع تعكس مشاكله وتعبّر عن أزماته. وبالتالي فإنّ الفضاء الرّياضيّ هو فضاء اجتماعيّ تتداخل فيه المنافسة البدنيّة بالمنافسة الاجتماعيّة. ومُثّل فرصة للتعبّي الجماعيّ

عمّا يعتَمَل في دواخل الذات الشعبيّة. ففي العشريّة الأولى من هذا القرن الجديد انتشرت في الملاعب التونسيّة تعبيرات شبابيّة ذات أهمية ودلالة بالغة لم تلق لدى المؤسّسات اهتماماً. فقد تحوّلت الأغاني الشّبابية التي تتغنّى بخصال الفرق الرّياضيّة إلى أغاني ذات مضمون اجتماعي احتجاجي ينطلق من نقد التّصرف الأمنيّ مع المشجّعين ليُطال السّلطة السياسيّة والاجتماعيّة برُمّتها وإن بشيء من التّقية. لقد كانت بحقّ علامات مندّرة بالإعصار المتراكم في المدار الشعبيّ.

وهاهي اليوم مدرّجات الملاعب تتحوّل من فضاء فرجة إلى ركح كبير تُعرض فيه جماهير الشّباب مظاهر غضبها ويأسها وتُفجّر فيه كبتها. إنّها تُعيد إنتاج واقعا وفق إخراج دراميّ له قوانينه الخاصّة. واقع مضطرب تُسمّمه نزعات التّفرقة وإذكاء نار القبليّة والانتماءات المحليّة. واقع متأزم تُعفنه الأحقاد والضّغائن. واقع مشحون يزيد توتراً ضعف الدّولة وغياب السّلطة. واقع مُحبط تساهم في تعكيره بعض النّخب والقيادات باستغلالها أو بتوظيفها للتحرّكات الجماعية لخدمة مصالحها... فإماذا ننتظر من الجماهير المُنفلتة المتحصّنة بقوة الحشد والمسيّة بفعل التحريض والشحن؟

إنّ ما تشهده الملاعب الرياضيّة ومحيطها من مظاهر العنف والتخريب نتيجة حتمية لتقلص البعد التّربويّ والاجتماعيّ للرّياضة أمام تنامي عقليّة انتزاع الانتصارات وتحقيق الأهداف الرّبحيّة الشّرسة للاحتراف. وقد ساهم التناول الإعلاميّ والاتّصاليّ في ذلك من خلال تصويره للمنافسات بمعجم حربيّ قتاليّ، وإذكائه للمشاحنات بحثاً عن الإثارة. كما تخلّى الميسرون عن دورهم التّربويّ ليصبحوا طرفاً في صراعات وهميّة ذات نتائج وخيمة. وضاعت في خضمّ التّجاذبات الرّوح الأُولمبيّة ومبادئ التّربية البدنيّة. ويبقى أصل الدّاء في تجاوز القانون والاستهتار بالقيم. 1

م.ز. أستاذ تعليم عال بجامعة تونس



■ محمد إقبال

التصوّف ذلك المجهول

1 - ظلّ المفكّرون الإصلاحيون في عموم البلاد العربية مُتفقين حول السؤال الإشكالي الذي صاغه شكيب أرسلان (ت1946) في العبارة المشهورة: لماذا تأخّر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم؟

في السؤال إقرار بواقع التخلف الذي اشتركت في الوعي به كلّ التعبيرات الإصلاحية العربية، لكنّه في الوقت نفسه كان اختزالاً لتوجه فكري ورؤية للتاريخ الإنساني لا تكاد تُخفي إنكاراً لما آلت إليه الأمور. ذلك أنّ سؤال الإصلاح فيه من جهة موقف مُنكر لافتكاك الريادة من المسلمين وهو، من جهة أخرى، سؤال قائم على تناظر بين «النحن- المركز» و«الآخر- الهامش» الذي وإن صار في مركزية الفعل التاريخي فكأنّه في تقدير الإصلاحيين أقرب للحدّث العارض غير المبرّر.

من الناحية المعرفية لا يؤثر سؤال الإصلاح في تطوير الوعي الذاتي لأنّه يُخفي إعراضاً عن الحراك التاريخي والمعرفة الإنسانية بما يؤدي إلى الاعتقاد أن تقدّم المسلمين قديماً كان لأنهم «مسلمون» فقط وأنّ الدّين والتديّن لا يمتلكان بعداً حضارياً واصلية له بصيرورة المعرفة والفعل الإنسانيين.



• بقدر د. أحمد النجار
رئيس رابطة تونس للثقافة والتعدّد

2 - نفس السؤال يُحيل إلى ما سماه «مرسيا إلياد» (Mircea Eliade) (1907 - 1986) بفجيرة الإنسان التقليدي في التاريخ. تلك الفجيرة التي وقع تكريسها منذ القرن الخامس الهجري عبر جملة من المقولات من أهمّها: «التقدّم نحو الأسوأ وما استنتج من الحديث النبوي: «خير القرون قرني...» ومقولة آخر الزّمان ومقولة المهدي المنتظر التي تكملها.

جملة هذه العناصر كوّنت الفجيرة القديمة- الجديدة في التاريخ والتي صورها أبو بكر الطرطوشي (ت520هـ/1126م) حين تحدّث عن الدهر الخوّون فقال: «أما اليوم فقد ذهب صفو الزّمان وبقي كدره فالموت تحفة لكلّ مسلم، كأنّ الخير أصبح خاملاً والشّر أصبح ناظراً.. كأنّ اللّؤم أصبح باسقا والكرم خاويًا وكأنّ الأشرار أصبحوا يسأمون السماء وأصبح الأخيار يردّون بطن الأرض».

3 - إزاء هذه الفجيرة وسؤال الإصلاحيين الإشكالي قدّم المفكر محمد إقبال (1876 - 1938) في كتابه «تجديد الفكر الديني في الإسلام - سؤالاً بديلاً عمّا صاغه الإصلاحيون هو: «هل الدّين أمر ممكن؟».

لهذا السؤال أكثر من معنى إذ أنّه بحثٌ في الانخراط الفكري الواعي للمسلم في العصر الحديث بما يؤدي إلى إقامة جدل الحداثة بالتجربة الدينية الذاتية وبالوعي التاريخي وهو أيضا تجاوز لفكرة الصّدام بين الشرق والغرب وبين الإسلام والمادّية.

حصيلة السؤال البديل أنّه يفتح على زخم فكري وروحي وحضاري واستراتيجي يؤدي ضرورة إلى إعادة النظر في جملة من المفاهيم التأسيسية من أبرزها علاقة الدّين بالمعرفة وفي جوانب عملية من أهمّها من أين نبدأ؟

من أهمّ إضافات السؤال الإشكالي البديل الذي صاغه إقبال تعريفه للدّين بأنّه إيمان بمصير الإنسان بما يجعل الحياة الدنيوية رياضة ريفية يكتشف بها المؤمن ذاته بما تُتيحه من عمق يوسّع نظره ويرسّخ قدرته العملية وفاعليّته في العالم بالنسبة إلى نفسية الفرد العاديّة. بهذا تصبح العلاقة بالمعرفة بما تتطلبه من منهج تجريبي يجعل المحسوس المنتاهي نصب العينين من أجل ارتقاء الذات وتركيز قواها في ذات الوقت الذي تحصل به المعرفة.

4 - من ثمّ يندفع سؤال إقبال «هل الدّين أمر ممكن؟» إلى أقصاه ليحدّد المفهوم الصممي الذي ينبغي الاعتماد عليه في الخيارات الاجتماعية والتربوية والسياسية. إنّه مفهوم الذات الحرّة التي تحقّق ممكنات لا تتكرّر والذي يجعله مغايراً للمنهج الفقهيّ الذي سادت حجّته عقوداً ممتدّة من الزّمن.

في هذا يعلن إقبال بجرأة واضحة أنّ مصير شعب من الشعوب لا يتوقّف على النظام الذي يحرض الفقيه على حمايته وتركيهه بقدر ما يتوقّف على قيمة الأفراد وقوتهم ضمن ذلك المجتمع. هو بذلك يعيد طرح الخلاف القديم المتعلّق بالصراع بين الفقهاء والمتصوّفة على أسس جديدة ليحسم ما لم يُحسم في التاريخ الإسلامي إلاّ بالعنف والإقصاء. في هذا لا يتردّد محمد إقبال في اعتبار أنّ «المنهج الفقهيّ» وقائياً وعاجزاً عن امتلاك الطاقة الإبداعية التي تتطلبها شروط التجديد من أجل تجاوز الخطاب الإصلاحية الذي استنفذ أغراضه.

وقوف محمد إقبال مع أهل التصوّف ليس بمعنى التخاذل السائد للتصوّف ولكن لكونهم يستطيعون إيقاظ المسلمين من سباتهم الرّوحي بتوجيههم إلى المعنى العميق للوحي الإلهي في إيمانه بمصير الإنسان وفي رهانه على طاقات الفرد في الارتقاء بشتّى أبعاده وقواه.

5 - عند استحضار هذه الأطروحة فيما تتيحه من نقد «المنهج الفقهي» وتبني موقف واضح من مسألة أولوية بناء الفرد المتجاوز للقيود الاجتماعي والقانوني استحداثاً لقيم جديدة لا بدّ من العودة إلى الجوانب المؤسّسة للتصوّف الإسلامي فيما صنعه في أولية بناء الفرد إزاء مصلحة الجماعة وقدرات الانتظام الاجتماعي وحاجياته الحيويّة.

لا بدّ في هذا من ملاحظة أنّ كثيراً ممّا نحمله من أفكار متعلّقة بأهل التصوّف بحاجة إلى مراجعة جدية لإنكارها راهنية الفكر والسلوك لدى الصوفي. هي أفكار وأحكام وقع توارثها دون كبير تمحيص نتيجة الصراع القديم بين الفقهاء والمتصوّفة إضافة إلى ما واجهه التصوّف بعد ذلك من دعاة الإصلاح وغيرهم من حملات تشويه وتدمير.

4 - من ثمّ يتساءل إذن: أيّمكن التصديق بأنّ الصوفي معنيّ بخصاله الفردي فقط وأنّه خانع مستسلم لشخية لا يحكم عقلا ولا يري حقا جماعة المسلمين عليه؟

6 - لمحاولة الإجابة نستعرض بعض الرّقائيق التي يمكن أن تساعدنا على إعادة النظر في مدى راهنية الصوفي ورهافة حسّه الدنيوي والحضاري.

عن عمرو بن عثمان المكيّ (ت291هـ) قال «التصوّف أن يكون العبد في كلّ وقته مشغولاً بما هو أولى في الوقت» ونقل السريّ السقطي (ت251هـ) عن الجنيد (ت297هـ) شيخ الطائفة: مارسّت كلّ شيء من أمر الرّهبنة فبليت منه ما أريد إلاّ الرّهبنة في الناس فإنّي لم أبلغه ولم أطقه». أما الشّشيري (ت465هـ) فيروي عن إبراهيم بن أدهم (ت162هـ) أنّه قيل له: إنّ اللحم قد غلا فقال أرخصه، أي لا تشتروه ثمّ أنشد:

إذا اللحم غلا عليّ تركته

فيكون أرخص ما يكون إذا غلا.

أما بخصوص ما ينسب إلى أهل التصوّف من العجائب والكرامات فإنّ رجلاً جاء إلى سهل التستري (ت283هـ) وقال إنّ الناس يقولون إنّك تمشي على الماء. فقال سهل: مؤدّن المحلّة رجلٌ صالح لا يكذب فأسأله. فسأله فقال المؤدّن: لا أدري هذا ولكن كان في بعض الأيام نزل الحوض ليتطهّر فوقع في الماء فلم أخرج أنا لبقّي فيه».

أما بشر (ت227هـ) فقد مرّ ببعض النّاس فقالوا هذا رجل لا ينام الليل كلّ ولا يفطر إلا في كلّ ثلاثة أيام. بكى بشر قائلاً إنّي لا أذكر أنّي سهرت ليلة كاملة، ولا أنّي صمت يوماً ولم أفطر من ليلتي ولكن الله سبحانه يلقني في القلوب أكثر ممّا يفعل العبد».

لهذا نبّه كبار الصوفية منذ وقت مبكر إلى إنكار تلك المبالغات وضرورة التصدي لتلك القصص الملهبة للخيال عن أهل التصوّف. من ذلك ما نُقل عن الجنيد أنّ أبا الحسن النوري (ت295هـ) أخذ «قصبة من الصبيان وقام بين زورقين وقال: وعزّتك وجلالك لئن لم تُخرج سمكك فيها ثلاثة أرطال لأغرقن نفسي. علّق الجنيد قائلاً: «كان حكمه أن تُخرج له أفعى تلدغه».

7 - أمّا عن استسلام المرید لما يعلمه شيخه الصوفي من معان فهو أمر نسبي ولو كان بالإطلاق السائد لما تعدّدت الطرّيق وكثرت المشائخ واختلفت التوجّهات؟

في ذلك قال الشّشيري مرزاً اختلاف الصوفي مع شيخه في الفهم حسب التجربة والمعاناة: «دخل عليّ شابٌ فسألني عن التّوبة. فقلت: التّوبة أن لا تنسى ذنبك، فعارضني وقال: التّوبة أن تنسى ذنبك».

مؤدّي كلّ هذا أن عمّل الصوفيّ من أجل تنشئة الذات الحرّة عبر قيمتي الرّهد والقناعة هو في ذات الوقت إدراك دقيق لقوانين النّفس والسوق والسباق، ولعلّ هذا ما جعل أبو بكر الرازي يقول: من لم ينظر في التصوّف فهو غيبي؟ بما يؤكد أنّ ما بلغنا من حكايات التصوّف السلبي يعود إلى فترات متأخّرة عندما عمّ بلاء الجهل وسوء الحال والاعتقاد وهو ما شمل الصوفي كالفقيه والأديب والسياسي دون

فرق.

ان.

Cession de la société Alpha Hyundai Motor



AVIS D'APPEL A MANIFESTATION D'INTERET

Objet de l'appel à manifestation d'intérêt

La société Al Karama Holding envisage de céder sur Appel d'Offres, 100% du capital de la société Alpha Hyundai Motor (la «Société»). A ces fins, le consortium Attijari Finances Tunisie - Attijari Finances Corp. [conjointement la «Banque Conseil») a été retenu comme Conseiller Exclusif de Al Karama Holding pour la réalisation de l'ensemble de l'opération de cession (l' « Opération »).

Le présent appel à manifestation d'intérêt a pour objectifs

1- d'informer les investisseurs de cette Opération, 2- de décrire le processus de cession décidé et 3- de renseigner les investisseurs intéressés sur les modalités de retrait du dossier de Pré-Qualification.

Considérations Clés

Alpha Hyundai Motor est une société anonyme créée en 2010 ayant pour objet la vente de véhicules particuliers neufs et de pièces de rechange de la marque Hyundai ainsi que le service après-vente des véhicules Hyundai.

Processus de cession

Le processus de cession comprend une phase de pré-qualification des candidats suivie d'une phase d'offres financières ouverte à tous les investisseurs pré-qualifiés.

En tant que partenaire technique, Hyundai Motor Company (HMC) est associé avec Al Karama Holding au processus de pré-qualification des investisseurs.

Retrait des dossiers de Pré-qualification

Les investisseurs intéressés sont invités à retirer, à partir du **Mercredi 30 mai 2018** à 10h00 au siège de Al Karama Holding, sis Rue du Lac d'Annecy, passage du Lac Malawi - Les Berges du Lac, Tunis, un dossier de pré-qualification qui définit le processus et les critères de pré-qualification.

Le retrait est conditionné par la signature par un représentant légal d'un engagement de confidentialité téléchargeable sur www.alkaramaholding.com et par le paiement d'un montant non restituable de trois mille dinars tunisiens (3 000 DT) payable par chèque certifié libellé au nom de la société Al Karama Holding ou en espèces.

Processus de Pré-Qualification

L'investisseur désirant participer devra être (i) une personne physique ou morale de nationalité tunisienne au sens de la réglementation en vigueur ou (ii) un consortium, dirigé par un chef de file, dont tous les membres sont de nationalité tunisienne.

Les investisseurs intéressés devront faire parvenir leurs dossiers de manifestation d'intérêt directement par porteur contre décharge ou par **courrier express**, le cachet du bureau d'ordre et celui de la Poste faisant foi, et ce au plus tard le **Lundi 02 Juillet 2018 à 14 heures** à l'adresse suivante :

Al Karama Holding
Rue du Lac d'Annecy, Passage du Lac Malawi,
Les Berges du Lac, 1053 Tunis.

Travaux de Due Diligence

Les candidats pré-qualifiés seront notifiés le **Lundi 16 Juillet 2018** et auront à leur disposition un dossier d'appel d'offres, composé (i) du règlement de l'appel d'offres, (ii) d'un mémorandum d'information, et (iii) d'un projet de contrat de cession. Les candidats pré-qualifiés auront la possibilité d'effectuer des travaux de Due Diligence dans le cadre d'une Data Room qui sera ouverte selon un calendrier et des modalités qui seront définies dans le dossier d'appel d'offres.

Les candidats intéressés peuvent prendre contact avec Attijari Finances Tunisie pour toute demande d'informations sur cette opération



Immeuble El Baraka, Bloc B, Rue du Lac d'Annecy - Les Berges du Lac, Tunis
Téléphone : +216 31 341 300
Fax : +216 71 965 615

Hani LAMOURI
E-mail : h.lamouri@attijari.tn

Imène BEN AYED
E-mail : i.benayed@attijari.tn

يوميات مواطن عيَّاش

غدوة نحزق السننورة...



• بقلم عادل الانهر

منذ

والرَّوز شهاري طلعوا لا يعلُّوا لا يبلُّوا ، بل أنّ حزقان السننورة لم يقد حتّى في اجتناب الدخول في الرّوج، فما بالك بتوفير الدّفعة الأولى لشقّة في المحمدية أو في المروج؟

وكيف للعيّاش أن يحزق السننورة أكثر ممّا حزق، سيّما وأنّه في الأثناء بولّدين و بنت رزق. وبين حليب وكوش، غرق صاحبنا للعنكوش؟

ثمّ جاء وقت القرابة والدروس الخصوصية، وتراكمت عليه طلبات الولدين والبنية، فإذا بالسننورة لفرط ما حزقت تتقطّع، وهو بلا حول ولا قوّة أمام أسعار تبرطح، بينما المرثبات مثل السلحفاة، تتقدّم ببطء، وأناة. وقد ما لم العيّاش روجو ما لقي فيها ما يتلم، وما شاف كان الهم وراء الهم.

وبمرور الزمن، وتعاقب المحن، تعقّد العيّاش من حاجة اسمها سننورة، وأصبح لا يستعمل هذه الكلمة إلا للضرورة. وكان يتضابق كلّما ركب طائرة، أو امتطى سيارة، فوجد مضيّفة تذكّره، أو سائقاً يأمره، بأن اربط حزام الأمان، فذلك يحيله إلى عجزه عن الادّخار واللمان.

وعند ما سمع العيّاش ذات يوم سياسيا من بلاده المعمورة، يطلب من المواطنين حزق السننورة، وكنت معه يومها في بيته، ضحك حتّى استلقى على ظهره. ولمّا سألته عن سبب هذه الضحكة غير العادية، أجابني بكلّ أريحية: «الحدوّلّة يا ربّي، خوك لا عندو سبتة بـاش يحزق ولا عندو ما يخبّي!». ع.

أن عرفت العيّاش من قريب، وأصبح عن ناظري لا يغيّب، تعودت منه على كلمة مأثورة: «هاني من توه باش نحزق السننورة»، وقد يعوّضها أحيانا بعبارة أقلّ رمزية: «هاني باش نلم على روجي شوية». لكن منذ ذلك الحين، وعلى مرّ الشهور والسنين، لا شفت العيّاش حزق ولا لم، بل عدّى حياتو من هم لهم، لي يصورو في النهار ياكلو في الليل، أما الادخار فكان محكوما عليه دوما بالتأجيل.

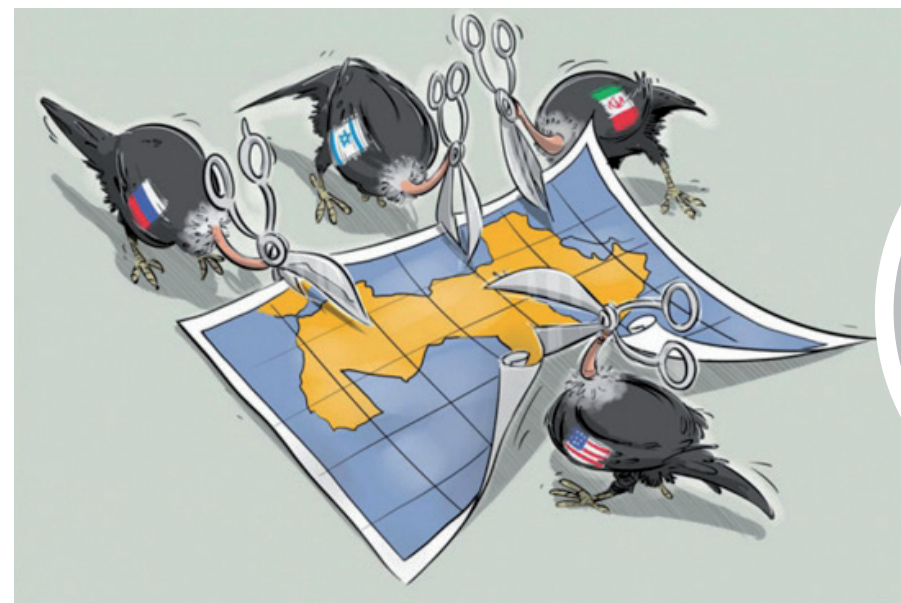
عندما قبض العيّاش أوّل شهرية، وكان ذلك زمن العزوبية، قال في نفسه: «توه موش وقت لمّان، الساعة واحد يعيش في الدنيا قبل فوات الأوان، واليوم خمر، وغدا أمر، وربّي غدوة يعمل دليل، وما تمّاش حاجة اسمها مستحيل».

وفي انتظار غد مشرق قريب أو بعيد، ومستقبل باسم سعيد، انطلق العيّاش يصرف على لباسه والقعدات، وعلى الخرجة مع البنّيات، غير عابئ بكلام والده: «حل حساب في الكنال»(1)، وبنصائح الوالدة: «يعيّش ولدي خّمم من توه في بنت الحلال». وكان اقتناعه أنّ الادّخار السكني حبالو طويلة، أمّا بنت الحلال فقصّة من قصص ألف ليلة وليلة.

ووقتّي كتب المكتوب وجات العروسة، أحسّ العيّاش- كما قال لي حينذاك - أنّ الوقت حان لاتخاذ قرارات مدروسة: إذا حط شهريتو على شهرية المادام، فإنّ الأمور ستسير على أحسن ما يرام. ومع شوية حزقان للسننورة، تويّ الأمور مستورة، وتبقى مرشانة للادّخار، تسبيقة لشريان دار... لكن لي يحسب وحدو يفضّلوا،

من اتفاقية سايكس - بيكو إلى «صفقة القرن»

قراءة في مسلسل المؤامرات على المنطقة العربية



• بقلم علي اللواتي

تحل الذكرى الحادية والخمسون لحرب الأيام الستة أو «نكبة حزيران 1967» والعرب غارقون في أزمتهم الاقتصادية والاجتماعية وخلافاتهم السياسية المزمعة التي تحولت إلى حروب ضارية أتت على الأخضر واليابس في سوريا واليمن وليبيا. أما حكامهم فهم اليوم أشبه بالوكلاء في أرضهم للقوى الخارجية بعد تخليهم عن القيم والمبادئ والقيم المشتركة التي تظاهروا بالاجتماع عليها في مواجهة عدو اغتصب أرضهم وأهان كرامتهم. ←

لقد

بنوا بيتهم العربي على أسس هشة فبات أشبه بخيمة منفلة الأطناب تتلاعب بها رياح تبعث في هبوبها قيمهم وثوابتهم وقضاياهم مثل قضية فلسطين والقدس، التي طالما اسندوا إليها شرعيتهم. لقد أصبح أكبر همهم الحفاظ على بقايا سلطة بلا سيادة تغطى لهم تفضلاً من قبل تلك القوى، وتراهم اليوم يلهثون خلف سلام واهم مع عدو غير مأمون الجانب يخفي في جعبته أشنع السيناريوهات للتحكم لا في مصر المنطقة فحسب بل وفي مستقبل العالم العربي الإسلامي على امتداده. أما عن الشعوب فلا تسأل، فرغم فورات الغضب العاطفية والخروج الصاخب إلى الشارع مع كل أزمة أو اعتداء طارئ، فإن اغتراب

تلك الشعوب يحول بينها وبين الوعي بفداحة المصير الذي تجرُّ إليه جزاً رغم تواتر الأحداث والمؤشرات بمزيد التمرق والاستلاب والفضوى. والحقيقة أن مشكلة الشعوب العربية لا تنحصر في التهديدات الخارجية بقدر ما تتمثل في اتساع الهوة بينها وبين أنظمة الحكم التي تقمعها وتصادر آمالها في الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية، ويثبت التاريخ الحديث للمنطقة العربية أن بعض أنظمتها السياسية متواطئ — أو في حكم المتواطئ — مع القوى الخارجية على إذلال شعوبها واستغلالها؛ فهل لا يزال لهذه الأخيرة أمل ما في استفاقة تحيي ضميرها المحترض فتنتفض لاسترداد إرادتها وإفشال المؤامرات الداخلية والخارجية التي تحاك ضدها لإبقائها في وضع الاستلاب والعجز عن بناء مستقبل أفضل؟

لم تكن هزيمة 1967 سوى نكبة في سلسلة نكبات بدأت مع اتفاقية سايكس - بيكو (1916) التي مرَّ عليها اليوم قرن وستنان، ولعلها لن تكون الأخيرة في ظل الأحداث المتسارعة التي تعصف حالياً بالشرق الأوسط حيث القوى الخارجية تمضي على رسلها مطمئنة في إنشاء القواعد العسكرية وتوجيه سياسات الدول بما يخدم أجنداتها ومصالحها، ولا تتوانى عن تغذية الصراعات بين الأنظمة وإذكاء التفرقات الطائفية والعرقية بين مكونات الشعوب. وبينما يغرق أولو الأمر في حساباتهم الضيقة، تستمر القوى المناوئة وعلى رأسها إسرائيل في مخططاتها الرامية إلى تقسيم جديد للمنطقة من خلال مشاريع متنوعة منها ما يروَّجُ له حالياً تحت مسمى «صفقة القرن» برعاية دونالد ترامب، الهادفة إلى تصفية القضية الفلسطينية والعبث بمصير الفلسطينيين.

لماذا يعجز العرب عن استشراف المستقبل؟

وإزاء ذلك الواقع المتأزم يتبادر إلى الذهن سؤال مُلح: هل حقاً هو ذهول من الأنظمة العربية إزاء مخططات التقسيم تلك، المستمرة على مدى قرن من الزمان؟ لقد وعى قلة من الحكام بالأخطار المحدقة وحاولوا — إلى حد ما — شق طريق مستقل عن استراتيجيات القوى العظمى، غير أنهم دفعوا في مقابل ذلك ثمناً باهظاً تمثل في تدمير أوطانهم وإلحاق بالغ الضرر بشعوبهم. واختار آخرون الاستكانة والمهادنة طمعاً في المحافظة على السلطة، ولن يشفع لهم ذلك في ظل ما يتهدد الجميع من مشروعات تقسيم لا تفرق بين متطرف ومعتدل ومُعادٍ ومُوال؛ فهل يُعقل أن يكون المهادنون على جهل بما يطبخ للمنطقة من مؤامرات مرعبة بينما يتتالي نشر الوثائق المعلنة عنها بما لا يترك مجالاً للشك في حقيقتها؟! إن الذهول هنا هو ذهول شعوب لم يتَّج لها الانتقال من نظام الرعية إلى نظام المواطنة فظلت مغيبة عن أي قرار يهم مصيرها ولم تكتسب حقها الطبيعي في الإحاطة بحقائق الأمور والملابسات التي تحدد مستقبلها إبان حدودها وبالقرارات المصرية التي لا تزال تُتخذ في غفلة منها. لقد بات واضحاً ما للسلطة في العالم العربي من أساليب متطورة للتعامل العنيف مع شعوبها عند أي بادرة منها للتعبير عن إرادتها،

وتراها تُسارع عند حصول أي اعتداء خارجي إلى امتصاص غضب الشارع بالشجب والإدانة والدعوة إلى القمم وتحريك مؤسسات العمل المشترك النائمة لتعبير بعض القرارات الفارقة للجدوى وبعد ذلك يخلد الجميع إلى النوم وتمضي إسرائيل في فرض إرادتها على العرب على نحو مهين؛ فما الذي يكسر إرادة الشعوب العربية إلى هذا الحد، ولم هذا التأخر عن سائر الأمم عن الوعي بأدنى أسباب المناعة وشروطها؟ وأي تفسير لذلك العجز عن استشراف المستقبل تحسباً لأي طارئ، ولماذا يصدق فيهم رأي إسرائيل شاحك المحلل السياسي الإسرائيلي والاساذ بالجامعة العبرية - القدس، عندما يقول: «لقد أثبت العالم العربي عجزه عن التحليل المنطقي للمستقبل.... لذلك يجب الخبراء الصهاينة نشر استراتيجياتهم المستقبلية علناً لتوعية أكبر عدد ممكن من اليهود والإسرائيليين بها، دون أدنى قلق من اطلاع العرب عليها، بإمكانية تصدي حكوماتهم لتلك الخطط إزاء معرفتهم بها شبه معدومة»؟.

وفي سياق الجواب عن تلك الأسئلة قد يفيد التذكير هنا ببداية المأساة مع اتفاقية سايكس - بيكو التي دشنت مرحلة مفصلية في التاريخ المتقلب لشعوب المنطقة العربية.

اتفاقية سايكس - بيكو السرية

مضى قرن وستنان على توقيع الاتفاقية في العام 1916 من قبل الدبلوماسيين فرانسوا جورج بيكو عن فرنسا ومارك سايكس عن بريطانيا وبتصديق من روسيا القيصرية؛ وكان من ضمن بنودها تقسيم منطقة الهلال الخصيب التابعة للأمبراطورية العثمانية المهتوية. ولم تبق الاتفاقية طي الخفاء طويلاً، إذ كشف الشيوعيون عنها ونشروها فور وصولهم إلى السلطة بعد نجاح الثورة البلشفية سنة 1917. وكانت تلك أولى خيبات أمل القوميين العرب الذين وعدتهم بريطانيا بالمساعدة على إقامة دولة عربية مستقلة في مقابل الثورة على الحكم العثماني، وقد أخلفت بريطانيا الوعد وغدرت بهم بينما كانوا يخوضون حرب عصابات بقيادة فيصل ابن الحسين أمير مكة وتوجيه من جاسوس بريطانيا المعروف بـ «لورنس العرب». وإثر انتهاء الحرب

العالمية الأولى صادق مؤتمر السلام سنة 1919 على اتفاقية سايكس - بيكو ثم صادق مجلس عصبة الأمم على وثائق وضع المنطقة تحت الانتداب البريطاني والفرنسي؛ وقد أقيمت عليها، لاحقاً، دول مثل مملكتي شرقي الأردن والعراق وجمهورية سوريا ولبنان بينما أُهديت فلسطين للعصابات الصهيونية بمقتضى وعد بلفور الصادر سنة 1917، لتقيم عليها «دولة إسرائيل» سنة 1948.

الإرث الكارثي لاتفاقية سايكس - بيكو

من المعلوم ما كان لتلك الاتفاقية من نتائج لا تحصى وأثار خطيرة في تحديد مصير المنطقة بما يستجيب للأهداف الإستراتيجية العامة للقوى العظمى ومنها الاحتفاظ فيها بمناطق نفوذ لخدمة مصالحها السياسية والاقتصادية (التحكم في منابع النفط ومراقبة المعابر البحرية).

وأمام الأمر الواقع المتمثل في قيام دولة إسرائيل، طرحت الدول العربية عدداً من المبادئ والمواثيق المستندة إلى الهوية والتاريخ المشترك واستمرت إلى وقت قريب في التأكيد على ضرورة التصدي للكيان الصهيوني كواجب قومي عبر ما يصدر عنها من خطابات وقرارات منفردة أو في إطار المؤسسات المشتركة مثل جامعة الدول العربية. غير أن ذلك الغطاء «القومي» الجامع لم يكن يخفي واقع الحذر بين الحكام وانقسامهم الإيديولوجي الذي وصل إلى حد التنافر بل العدا في مراحل استقطاب حاد عرفها التاريخ العربي خلال عقود طويلة تميّزت بالعجز عن الظفر بحل مشرف لقضية فلسطين؛ وانتهى الأمر بعد نكسة 1967 إلى ابتلاع إسرائيل لكامل فلسطين وأراض عربية أخرى مثل سيناء وهضبة الجولان السورية. وكان أن ظهرت في السبعينات نزعات انعزالية لدى بعض الدول المعنية أولاً بمصالحها الخاصة وبدأت مرحلة السعي إلى التصالح مع الكيان الصهيوني بانتهاج سياسات «براغماتية» تتوهم إمكانية حل الصراع العربي - الإسرائيلي بالمهادنة وطرح الحلول السلمية حتى وإن كان ثمنها الاستهانة بإرادة الشعوب. فكان أن أبرمت مجموعة من الاتفاقيات والمعاهدات برعاية أمريكية وهي: اتفاقية السلام المصرية - الإسرائيلية «كامب

RESIDENCE LES MIMOSAS LA MARSA



Localisation de la résidence

SIMPAR

71 840 244 / 29 921 009

www.simpar.tn

simpar@planet.tn

Situé à la banlieue nord de Tunis sur la Route de Gammarth, cité Erriadh, cet ensemble immobilier de haut standing est proche des divers équipements commerciaux et scolaires. En un rien de temps, vous êtes au centre de la Marsa, à Sidi bou said, à Carthage ou à Gammarth.

Il abrite 3 immeubles du type R2+ qui desservent 17 appartements et doté d'un grand parking sous-sol.

Vous découvrirez des prestations de qualité pour un vrai confort de vie.

المصائب من الاستبداد أو الهيمنة الخارجية ما يجعل عن الوصف واستطاعت النهوض من الركام لتخط نفسها طريقا نحو الحرية والكرامة الإنسانية وسط ظروف عصيبة. لقد ظهرت في المنطقة العربية بوادر انتفاضات واعدة ضد القمع والظلم بشر بها الربيع العربي انطلاقا من تونس. ورغم ردود فعل الأنظمة الناقمة عليه وما بذلته من أموال في سبيل إخماد شعلته بحجة نشره للفوضى وتهديده للاستقرار، ورغم آلة القتل والتشريد والدمار المسلطة على الشعوب التي حلمت به، فقد شكّل بدوره مرحلة مفصلية في تاريخ العرب الحديث وكسر الطوق المضروب على الذهن العربي وبشر بإنسان جديد لا يتهيب من دفع ضريبة الحرية الثقيلة بعد أن ثبت لديه أن لاستقرار مع الاستبداد ولا كرامة بدون حرية، والمضحك في الأمر أن يتهم أصحاب السلطة «أيادي خارجية» بتحريك الثورات العربية وهم أقدم الممارسين لأساليب التواصل مع تلك الأيدي الخارجية التي طالما انتهكت حقوق شعوبهم.

ومن النتائج الإيجابية للثورات العربية أنها فضحت المستور وأسقطت ورقة التوت عن الأنظمة ذات الشريعات المتأكلة وأخرجت خطاب التواطؤ من غموضه الملتحف بالأسلوب الدبلوماسي إلى وضوحه الفج وراقعته العارية كما يبدو للجميع في الواقع. ومن نتائجها أيضا أن اكتسبت الشعوب العربية بفضل ردود أفعال لم تعدها من قبل وأسلحة معنوية غير مسبوقه تستعين بها في مواصلة مقاومتها للاستبداد والقهر مثل حملات مقاطعة المنتوجات الاستهلاكية والمطالبات الجماهيرية بتعديل القرارات الحكومية وغيرها من وسائل الضغط. وأخيرا وليس آخرا فإن المرحلة الحالية من كفاح الشعوب العربية لفتت مزيد الانتباه إلى مسألة فلسطين والقدس التي انتقلت من قضية عربية إلى قضية كونية تُطرح اليوم على ضمير الإنسانية جمعاء من خلال ما تكتسبه من مؤيدين يزداد عددهم بإطراد عبر العالم، ومن مقاطعين لنتائج المستوطنات الإسرائيلية؛ وقد كانت إلى وقت قريب حركا على أنظمة تخلت الآن عنها بعد أن تاجرت بها طويلا. ■

ما العمل من أجل تحرير الذهن العربي؟
ولنعد الآن إلى تساؤلنا المطروح في المقدمة: هل من أمل في أن تستفيق الشعوب من غفوتها وينتفض ضميرها لاسترداد حقوقها وإفشال المؤامرات التي تحاك ضدها؟ هل بإمكانها التمرّد على المصير الذي سطر لها منذ سايكس - بيكو إلى اليوم؟
يعلمنا التاريخ أن هناك شعوبا ذاقت من الويلات

الأمريكي (1916-2018) وهو ضابط مخابرات ودبلوماسي وأكاديمي ومن كبار الخبراء في قضايا الشرق الأوسط إضافة إلى اشتغاله مستشارا لبنيامين نتياهو عندما كان سفيرا لإسرائيل في واشنطن، إضافة إلى ارتباطه بأوساط المحافظين الجدد. وتشارك خطته مع خطة بينون في عناصر كثيرة كاستغلال التعددية العرقية والطائفية واللغوية في العالم الإسلامي من أجل إثارة الاضطرابات داخله وتقسيمه إلى كيانات ودول ضعيفة. وتنسب إلى برنارد لويس مقولة «صدام الحضارات»؛ وتبدو خطته أكثر تفصيلا من خطة بينون حيث يرفقها بخرائط توضيحية ويقترح ضمنها إشعال حروب بين الدول على غرار الحرب بين إيران والعراق التي دبرتها قوى الغرب لإضعاف الدولتين. كما أن هناك خطط تقسيم أخرى لرالف بيترز (Ralph Peters) الضابط الأمريكي المتقاعد، منظر المحافظين الجدد ونصير الصهيونية وبلج في مشروعه على تفتيت كل من السعودية وإيران وباكستان باعتبارها أطراف صراع في مواجهة اليمين المسيحي اليهودي. وقد نشر خريطته للتقسيم سنة 2006 مجلة القوّات المسلحة الأمريكية. وهناك خطط تقسيم أخرى مثل الوثيقة المسماة خريطة أنلانتيكا (2008) لجيفري غولدبيرغ (Jeffrey Goldberg) الإسرائيلي الأمريكي وأحد أبرز عناصر اللوبي الصهيوني بأمريكا الذي تحدّث عن تقسيم السودان قبل حدوثه؛ وله خريطة تقسيم جديدة للمنطقة تبدو فيها سيناء كدولة منفصلة؛ ولنتساءل، هنا، لمن ستسند هذه الدولة؟ لعلها ستكون من نصيب الفلسطينيين المهجرين من بلادهم تعويضا لهم عن خسارة وطنهم أو أنها ستعود بصيغة أو بأخرى إلى الاحتلال الإسرائيلي حيث أعلن الكيان الصهيوني سنة 2013 أن له وحدة مقاومة إرهاب تابعة لجيشه تعمل هناك.

لقد ظلّ تلاعب القوى المنتفذة بالمنطقة على نسقه طوال القرن الماضي وحتى اليوم متمثلا روح اتفاقية سايكس - بيكو سيئة الذكر، مجددا أهدافها في صيغ متنوعة؛ ولا يعقل أن لا يتكون لبعض الأنظمة العربية علم بها والحال أن أغلبها قد أعلن عنه ونشر مرارا؛ وكل ما في الأمر أنها تتعمد إخفاءها عن شعوبها حسب أسلوبها المعتاد في التعامل مع الحقيقة داخل كهوفها الإعلامية. ومن تلك الخطط ما تضمّن المقال الذي كتبه يودد بينون (Yoded Yenon) الموظف بوزارة الخارجية الإسرائيلية ونشره بمجلة «كيفونيم» الإسرائيلية سنة 1982 تحت عنوان «إستراتيجية من أجل إسرائيل في الثمانينات»، ولا تهدف الخطة إلى لبننة المنطقة العربية فقط بل تتعداها إلى مجموع العالم الإسلامي في شكل دويلات ليسهل التحكم فيه مُستغلة مشكلاتها المزمنة من صراعات إيديولوجية وطاقية وعرقية ونزاعات حدودية مما يجعلها مهددة بالانفجار من الداخل؛ وقد أعاد صياغة الخطة ريتشارد بيرل (Richard Perle) وجماعته من المحافظين الجدد الأمريكيين وقدمها في شكل مذكرة لبنيامين نتياهو سنة 2006. ومنها خطة برنارد لويس (Bernard Lewis) البريطاني -



الانتخابات الأخيرة في البلدان العربية إقبال ضعيف وتأثير بالأوضاع الإقليمية في المنطقة

شهد شهر ماي 2018 تنظيم استحقاقات انتخابية في العديد من البلدان العربية كتونس والعراق ولبنان، كان لنتائجها انعكاسات لا فقط داخلية وإنما أيضا إقليمية، ولكن يبقى القاسم المشترك بينها عزوف الناخبين عن التصويت، في رسالة واضحة للسياسيين حول انعدام الثقة بهم. ←



• بقلر حنان زبيبي



لعل

أهم ما يجمع الانتخابات في تونس والعراق ولبنان ضعف إقبال الناخبين مقارنة بالاستحقاقات الانتخابية السابقة، ففي تونس، بلغت نسبة الإقبال في الانتخابات البلدية 36% في حين كانت 68% في الانتخابات التشريعية في 2014. وفي العراق، لم تتجاوز نسبة إقبال الناخبين 45% في الانتخابات البرلمانية التي انطلقت في 12 ماي 2018 في حين أنّ هذه النسبة بلغت 60% في الانتخابات التشريعية في 2014. أما في لبنان، فقد بلغت النسبة في الانتخابات البرلمانية التي جرت يوم 6 ماي 49.2%، في حين وصلت إلى 54% في الانتخابات النيابية التي نُظمت في 2009.

يفسر هذا التراجع في نسبة الإقبال بعزوف لدى الناخب العربي عن السياسية بعد فقدانه الثقة في الطبقة السياسية الحاكمة وفي قدرة آلية الانتخابات على تغيير وضعه وتحسين تطلعاته.

ولكن تظلّ نتائج الاستحقاقات الانتخابية، رغم العزوف عن المشاركة فيها، معيارا مهما لتقييم الوضع السياسي في بلد ما وفي التوجّه الموجود على مستوى الساحة الداخلية أو الخارجية، خاصة وأنّ الانتخابات الأخيرة في لبنان والعراق لها تأثير على كامل منطقة الشرق الأوسط.

الانتخابات التونسية: مفاجأة صعود المستقلين

لئن نتج عن الانتخابات البلدية في تونس فوز حركة النهضة بحصولها على 29% من الأصوات مقابل 22% لنداء تونس، فإنّها شهدت دخول لاعب أساسي في العملية السياسية وهم المستقلّون الذين تحصّلوا على أعلى نسبة أصوات (32%)، ليكون ذلك

مثابة الصفة أو العقاب الجماعي للأحزاب السياسية على ضعف آرائها واعتمادها منطلق المصلحة الضيقة والزيونية دون تقديم رؤية إصلاحية لوضع البلاد.

هذا الدخول المفاجئ للمستقلين في المشهد السياسي سيساهم من دون شك في إعطائه توازنا أكثر وثراء ومنح فرصة لغير السياسيين في لعب دور مهمّ في تغيير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في جهاتهم وتطوير المعادلة السياسية التي كانت إلى حد قريب مقتصرة على الحزبين الرئيسيين، لخلق معطيات جديدة استعدادا للانتخابات 2019.

ولكن يبقى الوضع التونسي استثنائيا كالعادة في المنطقة العربية التي تتداخل فيها مصالح عدّة، ممّا يجعل الوضع الداخلي لكلّ بلد مرتبطا دائما بما يحصل على المستوى الإقليمي. هكذا جاءت نتائج الانتخابات في لبنان والعراق لتعزّز هذا التوجّه. فالانتخابات اللبنانية دعمت وجود حزب الله في المشهد السياسي وما يعنيه ذلك من تدعيم نفوذ إيران ونظام الأسد في لبنان. أما الانتخابات العراقية، فعرفت صعود التيارات الرافضة للوجود الإيراني في العراق مثل تحالف «سائرون» الذي يقوده رجل الدين الشيعي، مقتدى الصدر. وفي الحالتين، اللبنانية والعراقية، فإنّ المشهد السياسي الجديد ليس معزلا عمّا يحصل في المنطقة من توسّع النفوذ الإيراني في سوريا والعراق ولبنان واليمن ومحاولات الشقّ السنيّ الممثلة في العربية السعودية والإمارات وقطر، مساندة الولايات المتحدة وإسرائيل، مواجهة هذا التمدد ودعم حلفاء سياسيين قادرين على التصدي له من الداخل.

الانتخابات اللبنانية وصعود حزب الله

كرّست الانتخابات البرلمانية الأخيرة في لبنان صعود حزب الله وحليفه «حركة أمل»

حيث حصد الإثنان 29 مقعدا في البرلمان اللبناني الذي يضمّ 128 مقعدا، كما عزّز حزب الله وجوده في بيروت عبر حصوله على أربع مقاعد. وبتحالفه مع أحزاب أخرى، أصبح مسيطرا على البرلمان، وبالتالي، فإنّ بصمته على السياسة الداخلية والخارجية للبنان ستزداد قوّة، ممّا سيعزّز أكثر من ارتباط البلاد بإيران وبالبحر السوري. الحزب الذي كان يفرض نفسه على الساحة السياسية اللبنانية بقوة السلاح، أصبح اليوم لاعبا أساسيا فيها بقوة الانتخابات، ممّا سيصعّب كثيرا خروج لبنان من دائرة الحرب في سوريا. وما يزيد الوضع تعقيدا، هو عودة شخصيات لبنانية عُرفت بتأييدها لنظام الأسد من أمثال فيصل كرامي وجميل السيد اللذين حصلوا على مقاعد في البرلمان وهو ما سيعاضد جهد حزب الله في مواصلة الزجّ بلبنان في تحالفاته مع إيران. من جانب آخر، فقد أثبتت هذه الانتخابات ضعف المكوّن السنيّ الذي صوّت العديد من المنتمين له إلى حزب الله. كما أنّ «تيار المستقبل» بقيادة سعد الحريري خسر مقاعدا مقارنة بالانتخابات النيابية السابقة في 2009 حيث تحوّل عدد مقاعده من 33 مقعد إلى 21 مقعدا. لكن هذا التيار ظلّ الممثل الرئيسي للسنة، مما مكّن الحريري من استعادة منصبه كرئيس حكومة بعد تكليفه من قبل ميشال عون، رئيس الجمهورية.

لم تحمل الانتخابات اللبنانية تغييرا كبيرا في المشهد السياسي، خاصة مع بقاء رئيس البرلمان، نبيه بري ورئيس الحكومة في منصبيهما ما قبل الاستحقاق الانتخابي، وذلك في محاولة لحفظ التوازنات الداخلية. ولكنّ التغيير الوحيد هو تعزيز حزب الله، ومن ورائه إيران ونظام الأسد، وجودهم في لبنان. في الأثناء، أصدرت العربية السعودية التي بدأت تستشعر الخطر من التمدد الإيراني قائمة بعشر شخصيات من حزب الله صنّفنهم كإرهابيين مع تجميد حساباتهم ومصادرة ممتلكاتهم. وقد أوضحت

ATL Leasing, L'allié de votre succès



ATL LEASING

ATL Leasing, vous offre la possibilité de louer les biens dont vous avez besoin pour votre activité pendant une période pouvant atteindre 84 mois. En fin de période vous en devenez propriétaire.



Plus qu'un leasing...

وليس حسب الانتماء الطائفي والمحاصصة الحزبية. ولكن هل ينجح في ذلك وأمامه تاريخ من الممارسة السياسية، منذ سقوط نظام البعث في 2003، يُكرّس الحكومات الطائفية، كما أنّ القوتين الرئيسيتين المتدخلتين في العراق لن تتركاه ينفذ مخططاته كما يشاء. فإيران لا تزال قوية من خلال وجودها العسكري والسياسي في البلاد، كما أنّ التحالفات الموالية لها والتي خاضت الإنتخابات حصلت على عدد لا بأس به من الأصوات مثل تحالف «الفتح» بزعامة الهادي العامري وهو ممثل «الحشد الشعبي» (المليشيات المدعومة من إيران)، وقد تحصل على المرتبة الثانية بـ47 مقعداً. كذلك، فإن الولايات المتحدة لن تترك الصدر ينفذ مخططه دون أن تتدخل، فلا يخفى أنّها كانت فاعلة في الانتخابات العراقية الأخيرة عبر دعم تحالف «النصر» الذي ترأسه رئيس الحكومة، حيدر العبادي والذي حصل على المرتبة الثالثة بـ43 مقعداً. وقد أعربت عن رغبتها في إعادة انتخابه كرئيس للحكومة.

تأتي الانتخابات الأخيرة في لبنان والعراق في سياق سياسي إقليمي مضطرب، خاصة بعد انسحاب الرئيس ترامب من الاتفاق النووي وإعادة فرضه عقوبات على إيران ومحاولات الولايات المتحدة وإسرائيل إخراجها من سوريا، بالضغط على حليفها الروسي، إلى جانب جهودهما لزعة النظام السياسي داخلها. ولا بدّ أن يكون لهذا الوضع الإقليمي تأثير على مشاورات تشكيل الحكومات في العراق ولبنان، حيث سيعمل السياسيون في هذين البلدين قدر الإمكان على الحفاظ على التوازنات السياسية الموجودة وإرضاء كلّ الأطراف تجنّباً للدخول في الصراع الذي يلوح في الأفق بين أمريكا وإيران. كما ستعمل هذه الأخيرة على استغلال نفوذها في مناطق تمّدها لتكوّن حزاماً لحماية مصالحها تحركه إذا اشتدّ الضّغط عليها. ح.ز.

لذلك كان الإقبال كبيراً على مساندة الصدر الذي كان قد رفع نفس الشعارات في 2015 منظمًا حملات شعبية وصلت إلى حدّ اقتحام البرلمان الموجود في قلب المنطقة الخضراء (الشديدة الحراسة) في بغداد. وكي يعطي رجل الدين الشيعي انطبعا على انفتاحه على جميع التيارات السياسية ورغبته في عراق بعيد عن الانقسامات الطائفية كوّن تحالفاً انتخابياً مع الحزب الشيوعي العراقي وأحزاب أخرى ذات توجه علمانيّ ليقترب إليه الطبقة المثقفة في العراق. تكتيك أثبت جدواه في الانتخابات ولكن هل سيستطيع الصدر تحقيق هذا التوجه الجديد عند تشكيل الحكومة المقبلة؟ ذلك هو التحديّ الكبير الذي يواجهه حالياً وقد تكاثفت المشاورات التي يجريها لتكوين حكومة لا يجوز له ترؤسها لأنّه لم يتقدّم شخصياً إلى الانتخابات. لا يبدو الأمر يسيراً في ظلّ تعقّد المشهد السياسي العراقي وحساب التوازنات الطائفية (بين شيعة وسنة وأكراد) التي لا بدّ من احترامها وإلاّ وُضع استقرار العراق الهشّ على المحكّ. كما أنّ الصدر لا يملك أغلبية برلمانية فهو يحتاج إلى التحالف مع قوى أخرى قد لا تشاطره نفس التوجه. وهو يطمح، حسبما أعلن عنه، إلى تكوين حكومة تكنوقراط لأول مرة في تاريخ العراق تكون التمثيلية فيها حسب البرامج السياسية

السعودية أنّ هذا القرار تمّ اتخاذه بالتشاور مع الولايات المتحدة الأمريكية في إطار استهداف مراكز تمويل الإرهاب. وهذا يعني أنّ الحرب ضد حزب الله وإيران قد بدأت فعلاً ولن تستثني أيّ بلد من المنطقة.

الانتخابات العراقية: فيتو ضدّ التدخل الإيراني

حملت الانتخابات العراقية مفاجأة حقيقية من خلال تصدّر تحالف «سائرون» الذي يتزعمه، رجل الدين مقتدى الصدر النتائج بحصوله على 54 مقعداً من أصل 329 مقعداً. وهو الذي عُرف عنه كرهه للولايات المتحدة الأمريكية التي حاربها في 2004 وعداؤه أيضاً لإيران ودعوته المستمرة منذ سنوات، للتأييد بالعراق عن التدخل الإيراني وإرجاع البلاد إلى الحاضنة العربية. راهن الصدر منذ بداية حملته الانتخابية على شعارات تدعو إلى إبعاد العراق عن الانقسامات الطائفية وإلى مقاومة الفساد وهي نقاط تمسّ الناخب العراقي في الصميم، حيث أنّه ملّ من الصراعات السياسية والتدخل الإيراني المتزايد في شؤون بلده وأصبح مطلبه العيش في سلام وفي بلد لا ينخره فساد السياسيين وتكالبهم على ثروات البلاد وارتهاهم للجهات الخارجية.



الرئيس الأمريكي دونالد ترامب

بين «اغتصاب» الحقوق الفلسطينية و«التحرش» بالنظام العالمي القائم



• بقلم محمد إبراهيم الحصري

من الطبيعي أن يتركز اهتمام العرب والمسلمين، هذه الأيام، من ناحية أولى، على نقل الولايات المتحدة الأمريكية سفارتها في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس، وحماس الدم الذي رافقه في غزة، ومن ناحية ثانية، على نقضها للاتفاق الذي عقده «مجموعة الخمسة زائد واحد» مع إيران حول البرنامج النووي الإيراني سنة 2015 والذي اعتبره الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الأسوأ في التاريخ الأمريكي، فهذان الحدثان الجللان وما كان وسيكون لهما من ارتدادات يهمان الأمتين العربية والإسلامية بشكل مباشر وجوهري، غير أنهما لا ينبغي أن يحجبا عن الأنظار أنهما ليسا سوى حلقتين في سلسلة طويلة من التحركات والقرارات والمواقف المتتابعة الأخرى التي اتخذها الرئيس الأمريكي منذ توليه الحكم قبل ستة عشر شهرا. ←

وتتمثل أهم هذه التحركات والقرارات والمواقف التي تنذر بخلخلة، إن لم نقل تقويض القواعد التي يقوم عليها النظام العالمي الراهن، فيما يلي:

• في 27 جانفي 2017، أي أسبوعا واحدا بعد توليه الحكم، وبدعوى «حماية الأمة من دخول إرهابيين أجانب إلى الولايات المتحدة» وقّع الرئيس دونالد ترامب، قرارا أراد بموجبه أن يعلّق دخول اللاجئين السوريين إلى بلاده لمدة 120 يوما على الأقل، واللاجئين السوريين إلى أجل غير مسمى، كما علّق القرار لمدة 90 يوما إسناد تأشيرات الدخول لمواطني سبع دول إسلامية هي إيران والعراق وليبيا والصومال

والسودان وسوريا واليمن. وقد أثار هذا القرار فور الإعلان عنه فوضى في المطارات الأمريكية وموجة احتجاجات ومظاهرات منددة بالتمييز ضد المسلمين، كما أوجّج استنكار المنظمات الحقوقية، علما بأنّ القضاء الأمريكي اعترض عليه وعلى كلّ النسخ المعدّلة منه التي تلتته...

• في مارس 2017، قام الجيش الأمريكي، خارج أيّ شرعية دولية، بتوجيه ضربة صاروخية لقاعدة «الشعيرات» الواقعة قرب مدينة حمص، تحت ذريعة استخدام النظام السوري السلاح الكيميائي في بلدة خان شيخون. وفي بداية أبريل 2018، وعشيّة انعقاد القمة العربية التاسعة والعشرين بالظهران، عادت الولايات المتحدة من جديد إلى ضرب سوريا بالتعاون مع بريطانيا وفرنسا تحت نفس الذريعة أي استخدام السلاح الكيميائي، ودوما خارج أيّ شرعية دولية.

• في أبريل 2017، أعلنت الولايات المتحدة عن وقف مساهمتها في تمويل صندوق الأمم المتحدة للسكان الذي يدعم برامج رعاية صحة الأم والطفل في 150 دولة، بتعلة أنّ البرنامج يدعم سياسة «الإجهاض القسري».

• في أواسط أبريل 2017، استخدم الجيش الأمريكي، لأول مرّة، ما سمّاه بـ«أمّ القنابل» (قنبلة وزن 9.800 كيلوجراما)، في ضرب بعض الجبال التي يتحصّن بها مقاتلو طالبان.

وقد عبّر الرئيس دونالد ترامب عن فخره بنجاح الجيش الأمريكي في تنفيذ هذه العملية، بينما أدانها الرئيس الأفغاني السابق، حميد كرزاي، قائلاً إنّها «غير إنسانية وتدّل على أبشع استغلال لأفغانستان» التي تستخدم الولايات المتحدة أراضيها في تجربة أسلحتها الجديدة.

• في 01 جوان 2017 أعلن الرئيس دونالد ترامب انسحاب الولايات المتحدة من اتفاقية باريس للمناخ التي يعتبر أنها تعود بالمنفعة على الدول الأخرى، وبالضربة على بلاده، وأكد أنّ بلاده ستعيد التفاوض حولها للحصول على معاملة منصفة للمصالح الأمريكية ولدفاعي الضرائب الأمريكيين.

• في 19 سبتمبر 2017، أعلن الرئيس دونالد ترامب في أول خطاب يلقيه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة أن الولايات المتحدة ستخفّف من

حجم مساهمتها في ميزانية المنظمة الأممية لأنها تعتبر أنّ إصلاحها، لكي تكون شريكا فاعلا في مواجهة التهديدات المحدقة بسيادة الدول الأعضاء وأمنها واستقرارها، يستدعي بصورة خاصة، أن تساهم هذه الدول في ميزانيتها بشكل عادل، إذ ليس من الإنصاف، أن تتحمّل الولايات المتحدة وحدها 22 بالمائة من هذه الميزانية.

وبالفعل فقد قرّرت واشنطن تخفيض مساهمتها في ميزانية سنة 2018/2019 بـ 285 مليون دولار.

• في نفس هذا الخطاب، هاجم الرئيس دونالد ترامب كوريا الشمالية بدعوى أنّ برنامجها النووي والصاروخي يثيران التوتر في شبه الجزيرة الكورية وقد توعدّ «بتدميرها بالكامل إذا اضطرت الولايات المتحدة للدفاع عن نفسها أو عن حلفائها».

وعلى إثر ذلك أمر بتحريك الأسطول الأمريكي السابع للمناورة في مواجهة سواحلها...

ورغم أنّ الجانبين الأمريكي والكوري الشمالي اتفقا، على عقد قمة بين رئيسيهما في 12 جوان في سنغافورة، فإنّ واشنطن واصلت تهديداتها للرئيس الكوري حيث توعدّته بأنه سيلقى مصير الرئيس صدام حسين والعقيد معمر القذافي إن لم يستجيب لمطالبها.

• في 12 أكتوبر 2017 أعلنت الولايات المتحدة الانسحاب من منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، بسبب ما سمّته «قلقها من استمرار انحيازها ضدّ إسرائيل»، وكانت قبل ذلك قرّرت منذ أكتوبر سنة 2011 التوقّف عن تمويل المنظمة بسبب منحها

العضوية الكاملة لدولة فلسطين. وقد ازدادت العلاقة بين واشنطن واليونسكو تشنّجا على إثر سلسلة من القرارات التي اتخذتها المنظمة خلال السنوات الماضية والتي تعلّقت باعتبار المدينة القديمة في الخليل «منطقة محميّة»، تابعة للتراث العالمي، وبادراج البلدة القديمة في القدس المحتلة وأسوارها ضمن قائمة المواقع المعرضة للخطر في العالم، وبنفي وجود ارتباط ديني لليهود بالمسجد الأقصى وحائط البراق الذي يسمّيه اليهود «حائط المبكى»، حيث اعتبرتهما تراثا إسلاميا خالصا، وبالتأكيد سنة 2017 على

قراراتها السابقة التي تعتبر إسرائيل محتلة للقدس، وترفض سيادتها عليها.

• في 13 أكتوبر 2017 ألقى الرئيس دونالد ترامب خطابا خصّصه لإيران، وقد رفض فيه الإقرار بأنّ طهران التزمت بمقتضيات الاتفاق المبرم حول برنامجها النووي، مؤكّدا أنّها لا تحترم روحيته.

وقد فوّض الخزانة الأمريكية لفرض عقوبات على الحرس الثوري الإيراني، باعتباره داعما للإرهاب، وأعلن أنّه سيعمل مع حلفاء الولايات المتحدة من أجل مواجهة أنشطة طهران «المزعزعة للاستقرار والداعمة للإرهاب في المنطقة».

• في نوفمبر 2017، وعند التصويت في الأمم المتحدة على مشروع القرار الراض لاعتراض الولايات المتحدة بالقدس عاصمة لإسرائيل، (صوّت لفائدته 128 دولة)، هدّد الرئيس دونالد ترامب بقطع المساعدات المالية التي تقدّمها بلاده للدول التي ستصوّت لصالح هذا المشروع، وقال في هذا السياق: «إنهم يأخذون مئات الملايين من الدولارات، وحتى مليارات الدولارات، ثم يصوّتون ضدنا. حسنا، سنتابع هذا التصويت، دعهم يصوّتوا ضدنا، سنوفّر الكثير من الأموال، نحن لا نهتم».

• في أوائل ديسمبر 2017 أعلنت الولايات المتحدة الانسحاب من عملية إعداد الميثاق الدولي لتحسين التعامل مع أزمات المهاجرين واللاجئين الذي تعترّم الأمم المتحدة إصداره سنة 2018، لأنّه «يتناقض» مع سياساتها حيث أنّه يتضمّن أحكاما عديدة تتضارب مع مبادئ وقوانين الهجرة واللجوء الأمريكية.

على أنّ الرئيس دونالد ترامب لم يتوقّف عند هذه التحركات والقرارات والمواقف التي في بعضها «اغتصاب» لحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة وغير القابلة للتصرف، وفي بعضها الآخر «تحرش» بجوانب عدة من النظام العالمي القائم، وإنما امتدت «تحرشاته» حتّى إلى علاقاته مع أهمّ حلفائه. ومن ذلك مثلا أنّه باد، منذ اعتلائه كرسيّ الرئاسة، إلى انتقاد «حلف شمال الأطلسي» واعتباره «حلفا متقادما» قد عفا عليه الزمان، ولا جدوى من بقائه، خاصّة وأنّ الولايات المتحدة تدفع حصة مبالغ فيها من مصاريفه،



FM
Jawhara
الدنيا و ما فيها

13^{ème} Anniversaire
Jawhara FM

شارك وإربح

Envoyez « **C** »

Par SMS au **85 990**

du **01 juin** au **25 juillet**



CITROËN C-ÉLYSÉE

من العجرفة والغطرسة، نهج طبيعي من رئيس ذي شخصية تتسم، حسب الدراسات العلمية النفسية بـ«التسلط والانغلاق والتمحور العرقي، والتعصب والنزوع إلى السيطرة، ودرجة عالية من القلق النفسي، والحاجة إلى القوة للتعويض عن الإحساس المنخفض بأهمية الذات»، ومن دولة ذات طبيعة «امبراطورية» انفردت، طيلة أكثر من عقدين من الزمن، بعد انهيار جدار برلين، بقيادة العالم بل بالهيمنة عليه، إذ ليس من السهل عليه ولا عليها أن يقبل بالنظام التعددي أو متعدّد الأقطاب الذي هو اليوم بصدد «التشوّء والارتقاء» تدريجياً... غير أن الأمر غير الطبيعي هو أن يظلّ العالم يتفرّج على «اغتصابات» و«تحرّشات» الرئيس دونالد ترامب دون أن يحرك ساكناً أو دون أن يتحرّك بما يكفي من الحزم والنّجاعة.

كما أنّه من غير الطبيعي أن تظلّ الرّدود على هذه «الغتصابات» و«التحرّشات» ردوداً فردية محتشمة ومحدودة المجال... إنّ المطلوب في هذه الآونة هو أن تعمل دول العالم مع بعضها البعض لتفهم الرئيس دونالد ترامب أنّها غيرا راضية عن نهجه وغير موافقة عليه، وأنّ عليه وعلى واشنطن أن يقبلوا بالعالم متعدّد الأقطاب الناشئ رغماً عنهما، وأنّ شعار «أمريكا أولاً» لا ينبغي أن يعني «أمريكا وحدها» مثلما قال هو نفسه في منتدى دافوس الأخير..

ولعلّه من المهمّ أن نذكّر في الختام، بأنّ الدعوة إلى إقامة نظام عالمي جديد ليست بالأمر الجديد، وقد يكون أن الأوان لإحياء هذه الدعوة واستئناف العمل من أجل إقامة هذا النظام، لكن ليس على يد الرئيس دونالد ترامب والولايات المتحدة وحدهما، وأنما على يد مختلف بلدان العالم، كبيرها وصغيرها على حدّ سواء، بل وخاصة على يد بلدانه الصغيرة التي يفترض أن تتكئ وأن تشكّل جبهة قويّة موحّدة لتسهم في رسم ملامح عالم الغد الذي ينبغي أن يعيد إليها بعض حقوقها المهضومة وأن يكون أقلّ توحّشا وأكثر أنسنةً في معاملتها. **م.أ.ح.**

إضافة على واردات الولايات المتحدة من مواد الصلب والألمنيوم من بلدان الاتحاد الأوروبي تصل إلى 25 % من القيمة العامة للمشتريات، وذلك رداً على الرسوم التي يعترها ضخمة والتي يفرضها الاتحاد الأوروبي على شركات أمريكية تعمل في دول الاتحاد. وأمّا بالنسبة إلى الصين فإنه يتهمها بسرقة مئات المليارات من الدولارات من حقوق الملكية الفكرية العائدة للشركات الأمريكية، وباعتماد ممارسات تجارية غير عادلة، وهو يطالبها بتخفيض العجز التجاري الأمريكي معها بمقدار 100 مليار دولار سنوياً علماً بأن الصين مسؤولة، حسب قوله، عن نصف العجز التجاري الإجمالي للولايات المتحدة، أي عن 400 مليار دولار كل سنة... وغنّي عن البيان أنّ مجمل هذه المواقف والقرارات والتحركات (وما قد يأتي من أمثاله مستقبلاً)، تعني فيما تعنيه أنّ الرئيس دونالد ترامب يصدد العمل، بطريقة منهجية، على تهديم الأسس التي تقوم عليها العلاقات الدولية والقواعد التي تأسس عليها النظام العالمي الحالي، تمهيداً لإعادة تشكيل العالم على مقياس مصالح وأهواء بلاده تطبيقاً للشعارين اللذين رفعهما خلال حملته الانتخابية: «أمريكا أولاً» و«إعادة أمريكا إلى عظمتها»، وتجسيماً للأولويات الحيوية الأربع التي بنى عليها رؤيته للأمن القومي الأمريكي وهي، للتذكير، حماية الأراضي الأمريكية، وتشجيع الازدهار الأمريكي، والحفاظ على السلام بالقوة، ونشر النفوذ الأمريكي في العالم.

ولطالما تبجّع الرئيس دونالد ترامب بأنّه يصدد إعداد العدة لتجسيم هذه الأولويات لا سيّما من خلال توقيعه، في 12 ديسمبر 2017، على أكبر ميزانية حربية في التاريخ الأمريكي حيث بلغت هذه الميزانية 700 مليار دولار، وقد قال بهذه المناسبة: «بتوقيعنا الميزانية الدفاعية نحن نسرّع عملية استعادة القوة العسكرية للولايات المتحدة بالكامل، وسيرفع القانون من مستوى استعدادنا القتالي، وسيعزّز الإجراءات لتحديث قوّاتنا المسلّحة وسيساعدنا في تقديم الموارد الضرورية لعسكريينا». وفي رأيي، فإنّ هذا «النهج» الأناي الرّجسي الذي يتوخّاه الرئيس الأمريكي، بكثير

مقارنة مع ما تدفعه بقية الدول الأعضاء. غير أنّه ما لبث أن راجع هذا الموقف، وتراجع عنه حيث أكد في أوّل قمّة يحضرها للحلف في 25 ماي 2017 ببروكسيل، أنّ هذا الحلف يمكن أن يكون «حلف المستقبل» شريطة أن «يركّز على الإرهاب والهجرة وعلى التهديدات الروسية لحدوده الشرقية والجنوبية». ونفس الملاحظة تنطبق على انسحاب الولايات المتحدة من اتفاقية الشراكة عبر المحيط الهادئ (TPP)، التي تضمّ 12 دولة، هي إلى جانب الولايات المتحدة، أستراليا، وبروناي، وكندا، وتشيلي، واليابان، وماليزيا، والمكسيك، ونيوزيلندا، والبيرو، وسنغافورة، وفيتنام. ومع أنّ الرئيس دونالد ترامب فتح الباب في 26 جانفي 2018، على هامش مشاركته في منتدى دافوس بسويسرا، أمام عودة الولايات المتحدة إلى اتفاقية التبادل الحر لدول المحيط الهادئ، فإنّه ربط هذه العودة بالتوصّل إلى صيغة اتفاق أفضل من الاتفاق السابق. كما تنطبق على مطالبة واشنطن بإعادة النظر في اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (نافتا NAFTA)، ففي 23 جانفي 2017 وقّع الرئيس دونالد ترامب قراراً يتعلّق ببدء المفاوضات مع كندا والمكسيك حول تغيير شروط هذه الاتفاقية التي كانت الدول الثلاث أبرمتها سنة 1994، والتي تهدف إلى إزالة العوائق الجمركية وتعزيز الروابط الاقتصادية، وتبادل الاستثمارات، وإنشاء سوق إقليمي موحد بينها. ومن أهمّ ورماً أخطر قرارات الرئيس دونالد ترامب في نفس المجال، إعلانه في مارس 2018 حرباً تجارية على أوروبا من ناحية وعلى الصين من ناحية أخرى من خلال «الإجراءات الحمائية الأحادية» التي اتخذها للتقليص من العجز التجاري الأمريكي المقدّر بـ800 مليار دولار سنوياً.

أما فيما يتعلّق بأوروبا، فإنّ الرئيس دونالد ترامب يطالبها بإزالة الرسوم الجمركية التي تفرضها على المنتجات الأمريكية في مقابل إعفاء أعضاء الاتحاد الأوروبي من الرسوم المفروضة على الصلب والألمنيوم، وقد هدّد بأنّه في حالة عدم تعاون الاتحاد معه في هذا المجال، سيفرض رسوماً جمركية جديدة على واردات السيارات الأوروبية. كما أعلن أنّ الإدارة الأمريكية تنوي فرض رسوم

«وصف إيالة تونس» للقنصل بيليسي هل كان تمهيدا للاحتلال الفرنسي؟



• بقلم د. الحبيب الدّربي

لئن بات انتصاب الحماية الفرنسية على البلاد التونسية واقعا سياسياً وعسكرياً بعد إمضاء معاهدة باردو في 12 ماي 1881 فإن نوايا احتلال تونس قد برزت قبل ذلك بزمن بعيد، وتدل مؤشرات كثيرة على أن فرنسا التي احتلت الجزائر منذ 1830 كانت تخطط لبسط هيمنتها على تونس منذ أربعينات القرن التاسع عشر. لقد تمكنت فرنسا من إبرام معاهدات تعفي بضائعها من جل الرسوم الجمركية ومن المكوس الداخلية، وتحصل القنصل روسطان على امتيازات لفائدة رجال الأعمال الفرنسيين وأتاح لبلاده الفوز بصفقة مد الخط الحديدي بين الجزائر وتونس ثم مد كل السكك الحديدية بالبلاد التونسية وحفر ميناء مدينة تونس، وتسابت الشركات الفرنسية على شراء الأراضي الفلاحية التونسية. وفضلا عن ذلك كله فإن عملا استخباراتيا كان يتم بالتوازي مع التغلغل الاقتصادي والمالي لتسهيل عملية الدخول الى البلاد التونسية.

مزهرة للامبراطورية الرومانية الشاسعة، ولا يتوانى عن إطرأ ما أضافه الرومان في مستوى المعمار والأبنية وفي مستوى العادات والتقاليد وفي مستوى الصناعات وخلق الثروة وتحقيق الرّخاء. ولا خفاء أن بيليسي يلّمح من خلال ذلك كله إلى أن البلاد محتاجة، للخروج من حال البؤس والفقر والتأخر التي لاحظها في جل مناطق الإيالة، إلى «رومان جدد» - ليسوا سوى أحفاد الأسلاف القدامى - يجلبون إلى هذه الأرض أسباب التمدن والتحصن والنماء فيغيروا تخلفها نهضة وتقهرها تقدما وضعفها قوة، وهو لا يتردد في القول: «وعموما يمكننا في الشمال الإفريقي الرجوع بكل ثقة إلى الرومان في اختياراتهم، واعتقد أن ذلك هو الشأن في كل مكان وضع فيه هذا الشعب العظيم أقدامه».

رصد الطرق المؤدية الى تونس

كان اهتمام بيليسي متّجها - على امتداد فصول كتابه - إلى تتبع الطرق والمسالك المؤدية الى

سياسية واستعمارية، فإلى جانب ما تضمنه من معطيات دقيقة عن مختلف مناطق البلاد وسكانها ممّا لا يتاح عادة للرحالة وعموم الزائرين فإنه ينطوي على محاولة لفهم خصوصيات بلد تُعزّز السيطرة عليه واستقصاء مقوماته الطبيعية والبشرية ورصد إمكانياته العسكرية والدفاعية وتقييمها، وهي مقاصد ترجّح أن الكتاب وُضع في الأصل لتسهيل اجتياح عسكري محتمل.

وربما أمكن لقارئ الكتاب أن يقف على أربع قرآن كبرى تكشف أهداف المؤلف الخفية المضمر:

تمجيد الفترة الرومانية

لا يُفوت بيليسي أيّة مناسبة تُتاح له للإشادة بالعهود التي حكم فيها الرومان البلاد التونسية، فهو يتحدث عنها باعتبارها مرحلة ازدهار ماديّ ونهضة اقتصادية وحضارية ويسمّيها فترة «أناقة وثراء»، إذ يُذكر دائما بأن تونس كانت مقاطعة

الكتاب الذي حرّره قنصل فرنسا بسوسنة «ارنست بيليسي دي راينو» وصدر عن المطبعة الملكية بباريس سنة 1853 ضمن سلسلة «الاستطلاعات العلمية للجزائر»

وحمل عنوان «وصف إيالة تونس» يتنزل في هذا الإطار، فهو عند التأمل أقرب إلى التقرير الاستراتيجي الاستعماري منه إلى أي شيء آخر. يبدو الكتاب في ظاهره من جنس أدب الرحلة فهو يتكوّن من ثلاثة أجزاء: خُصص أولها لعرض المعطيات الجغرافية والطبيعية لمعظم مناطق الإيالة واهتم ثانيها بتقديم الجغرافيا التاريخية للبلاد التونسية من خلال تعقب التقسيم الإداري للإيالة وما تحويه من آثار ونقائش قديمة، وتضمن الجزء الثالث وصفا لتنظيمات البلاد ومؤسساتها ومعلومات عن القضاء ورجال الدين والعسكر ومصادر الثروة.

إلا أن القارئ يمكن أن يلاحظ بيسر أن الكتاب ليس عملا علميا خالصا مُنرّها عن كل غائية

لعل

LE B **ON AIR**
EST SUR CAP Fm



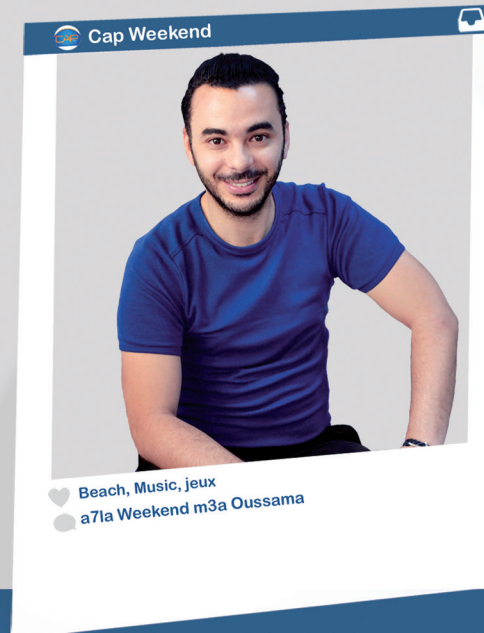
9999 j'aime
#Ines_Bouaffif #Asma_Mouadeb #Safa_Kailla #Jamel_Forti #Ihsen_Ghazali



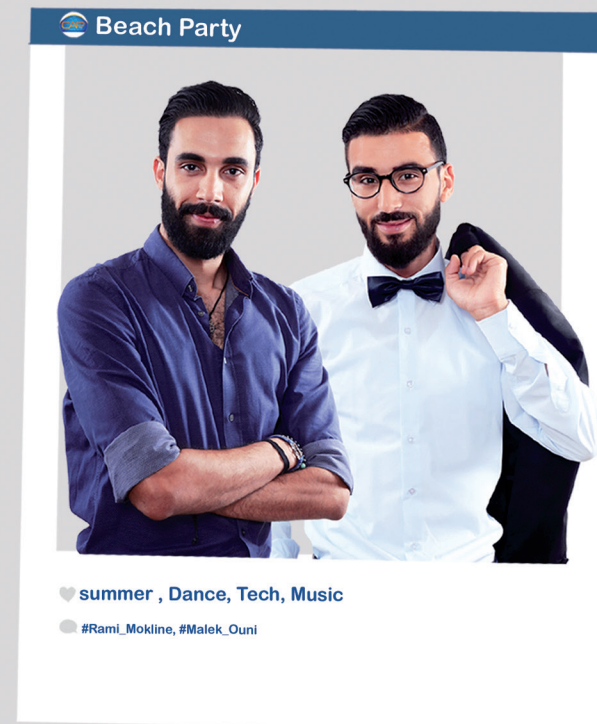
BCE, RG, HH, YC
#Nabil_ben_Amor #Lazher_Akermi #Taoufik_Ayachi #Nadia_Daoud



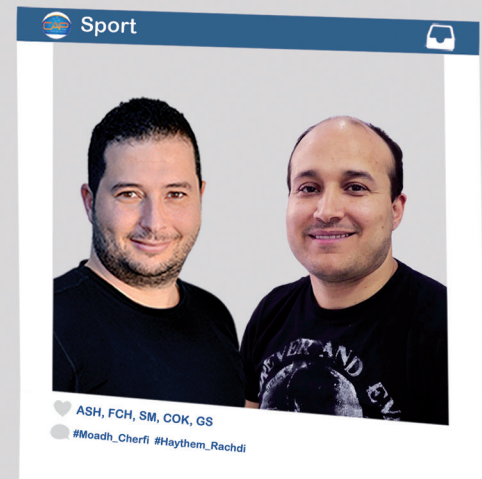
Summer Time, Astuce Beauté, Music
#Amal_Ben_Mohamed



Beach, Music, jeux
a7la Weekend m3a Oussama



summer, Dance, Tech, Music
#Rami_Mokine, #Malek_Ouni



ASH, FCH, SM, COK, GS
#Moadh_Cherfi #Haythem_Rachdi

Adresse : Avenue Abu Dhabi 8050 Hammamet-Tunisie



91.5 fm

105.6 fm

95.2 fm



radio cap fm



www.capradio.tn



31 363 750



Radioméd

une vague de bonheur

NABEUL
HAMMAMET
100.0
FM

GRAND TUNIS
93.5
FM

CAP BON
GRAND TUNIS
104.1
FM



WWW.RADIOMEDTUNISIE.COM

الحدود، وما ورد فيه من إحصائيات مفضلة تتصل بالجند والأسلحة والذخيرة والتجهيزات الحربية، وهي معطيات ترتقي إلى مرتبة أسرار الدولة التي لا يمكن لغير كبار قادة العسكر وأمرائه معرفتها، إلا أن بيليسي تمكن من الوصول إليها بما يقيم الدليل على أنه وجد تسهيلات من كبار مسؤولي الدولة آنذاك وفي مقدمتهم المشير أحمد باشا باي نفسه، ذلك أن شروع بيليسي في جولته عبر أنحاء البلاد وتسجيل تقييداته بشأن إيالة تونس جاء مباشرة بعد عودة الباي من فرنسا حيث حظي بحفاوة بالغة أواخر سنة 1846. وعلى هذا النحو سنجد في هذا الكتاب أن الجيش النظامي في تونس يتكوّن من سبعة فيالق من المشاة وفيلق من الخيالة وفيلقين من المدفعية، وممثل مجموعهم ما بين ستّة عشر إلى سبعة عشر ألف رجل «بأزياء أوروبية مضحكة».

وينقسم كل فيلق من المشاة إلى ثلاث كتائب من ثماني فرق، ويضمّ فيلق الخيالة ست سرايا، ويضمّ فيلق المدفعية معا أربعة وعشرين مدفعا مجهزة نسبيا، اثنان منها بخيول وفرقتين من الطبجية وفرقتين من العملة، أما الأسلحة فقد علم بيليسي أنها في وضعية سيئة، وتتكوّن أساسا من بنادق من الفئات المستجلبية من أوروبا، ولكن الباي يمتلك في مخازنه ذخيرة من البنادق الجديدة.

وأما عن جيش البحر، فقد توصل إلى معرفة أن تونس لا تملك إلا «فرقاطة واحدة مازالت في الترسانة و«كرواطين» وسفينة بخارية منحتها فرنسا مقابل تزويدها بالخيول، وأن عدد العاملين في البحرية لا يبلغ أكثر من ألف ومائتي شخص.

وخلص بيليسي في النهاية إلى أن الجيش النظامي التونسي جيش بسيط يفتقد إلى التماسك، بل ذهب إلى القول: «وأنا مفتنع بأنه لا يستطيع الصمود أمام ستّة أفواج من جيشنا الإفريقي سواء من المسيحيين أو من المسلمين».

افتتاح تونس برا وبحرا سواء من الجهة الغربية حيث الجزائر، وهي آنذاك مستعمرة فرنسية، أو من الجهة الجنوبية حيث طرابلس الولاية العثمانية المستضعفة. لقد رصد بيليسي أهمّ الطرقات والمنافذ التي يمكن التسلل منها إلى الأراضي التونسية ونبه إلى الحواجز الطبيعية على الحدود الغربية مع الجزائر وأشار إلى السبل الكفيلة بتجاوزها. فهو يصف السلسلة الجبلية الفاصلة بين تونس والجزائر ويذكر بأنّ الدخول إلى منطقة أو أخرى لا يتأتى إلا بتخطي الجبال التي تفصل بين البلدين، إلا أنه يقترح بعض المعابر التي لا تعترض فيها تلك الحواجز، من ذلك طريق وادي سراط وطريق فوسانة: «ويمكن للطريقين الآخرين - طريق وادي سراط وطريق فوسانة - أن تؤدّيا بجيوشنا مباشرة إلى وسط البلاد، فالأولى من هذين الطريقين هي ممر سهل العبور، والثانية قد تمثل بعض الصعوبات غير أنها ليس بالجديّة كثيرا، ويمكن أن تكون مدينة تبسة الجزائرية قاعدة عمليات للقوة التي يمكن أن تتحرّك عبر أحد هذين المسلكين».

وتفطن بيليسي إلى معبر قديم كان موجودا في سفح جبل الجريصة وهو يقع على خطوط طبيعية للمواصلات بين الجزائر وإيالة تونس، إلا أنه يعتبر أن أفضل المداخل الغربية يكون عبر سهل وادي مجردة: «وقد يكون تقدم الجيش مخطئا له بصفة طبيعية عبر سهل مجردة الذي يقوده حتى مجاز الباب وتكون المسافة من هذه القرية إلى تونس قصيرة ويسيرة».

وأما من الجهة الجنوبية فقد رسم بيليسي مسارين اثنين يمران عبر منطقة الأعراض: أولهما طريق الساحل الشرقي وثانيهما طريق غربي بحيرة البيبان، وقدّر المسيرة بين طرابلس ومنطقة البيبان بثلاثة أيام واعتبر المسلك الثاني أقصر المسلكين وأضمنهما.

ولعل ما يؤكّد الصبغة الاستخباراتية لهذا الكتاب ويعزّز فرضية أن يكون قد وُضع تهييدا لتدخل عسكري فرنسي محتمل ما يتضمّنه من معطيات دقيقة عن القوّات العسكرية في تونس وفرق الجيش النظامية وغير النظامية وفرق حماية

الاستخبار عن العسكر ومقدّراته

الإغراء بمحاصيل الأرض وثرواتها

شمل وصف بيليسي لإيالة تونس تقريرا ضافيا عن مصادر الدخل والمحاصيل الزراعية والثروات الباطنية، وهو محور هام ولا شك بالنسبة إلى بلد

ح.د.

عزّوز الرباعي مناضل ضحى بشبابه في سبيل الوطن

وكان يقول بورقيبة - عمّن كان يُسمّيه باسمه لا بلقبه - : «محي الدين هو الذي أتعنني، في العمل الميداني الذي كنت أقوم به، لأنّه مثلي، كان لا يبقى وراء مكتبه؛ فكان مؤمنا مثلي بجدوى الاتصال المباشر بالقاعدة، في كلّ أنحاء البلاد». في الخصومة القائمة، إذّاك، بين الحزبين -اللجنة التنفيذية والديوان السياسي، كان لعزّوز الرباعي، ولأستاذه البلهوان، دور مُتميّز في فوز الحزب الجديد بالرّعاية لدى جماهير الشباب، في العاصمة : زعامة افتكها هذا الحزب الناشئ من أيدي حزب عتيد، معروف برجالاته، ومتجذّر في كبريات المدن، وفي الرّأي العام - كما سيقول بورقيبة في حُطبه بعد الاستقلال. ذلك أنّ الحماس العارم، الذي اختصت به أيضا دعاية «الديوان السياسي»، كان له أثر عميق في شباب المدارس، وفي طلبة الزيتونة: يحضرون الاجتماعات الكثيرة، هنا وهناك، ويطالعون ما ينشره الحزب من مقالات، بالعربيّة وبالفرنسيّة، نراتها جديدة، وجرأتها غير مسبوقّة. ولعزّوز الرباعي فضل أخصّ، إذ كان يحضر اجتماعات الحزب الشيوعي، ويفتك الكلمة من أصحابها، بالعربيّة أو بالفرنسيّة، حسب الظروف. فيفسد عليهم دعايتهم، لدى الشبان الحاضرين.

عزّوز. وفي تثبيت هذا الميل، لاشكّ أنّ لرفاق المدرسة الصادقيّة تأثيراً قوياً ومتواصلاً؛ خاصّة أنّ أغلبهم من منطقة الساحل، حيث أخذت، إذّاك، دعاية الحزب الجديد تعمّ المدن والأرياف، بعد المؤتمر التأسيسي المنعقد بقصر هلال. ومنذ ذلك العهد، ملّت تدريجيّاً إلى حزب عزّوز الرباعي؛ والحال أنّي من عائلة تعتزّ بأنّ أحد أعضائها يُعدّ من كبار زعماء اللجنة التنفيذية. ولم أفكر مليّاً في الأمر؛ ولم أفدّر له انعكاساته العائليّة، إذ كان الجزبان، إذّاك، في خصام دائم، وتراشق بالتهم والشتم. كان محي الدين القليبي مُتفرّغاً لإدارة الحزب، يقوم بنشاط متواصل، في العاصمة وفي داخل البلاد؛ لا يتوقّف عن القيام بالرحلات إلى المدن والقرى، وإلى أقاصي البادية، ليُبلّغ كلمة الحزب، وليستنهض طاقات المناضلين. ولكن هذا العمل، لم يكن يساعده فيه أحدٌ من زملائه. كان، في نشاطه، شبهً بينه وبين هذا الشابّ العائد من فرنسا - الحبيب بورقيبة - والذي يُؤمن هو أيضا بالاتّصال المباشر. وكثيراً ما سوف يقول لي الرئيس، فيما بعد، في خلواتنا بالقصر الرئاسي، إنّ «محي الدين» هو الوحيد الذي كان يقف في وجهه، لأنّه يطوف البلاد ولا يني؛ ويرضى، مثله، بشطف المَقام، في تنقلاته عبر البوادي، يتحمّل الأتعاب، ولا يشكو الكلل.

حُطّى أستاذه، مشى الشاب عزّوز الرباعي، موجهاً من يلتقي من شُبان المدارس، ومن طلبة الزيتونة، يخطّب فيهم، ويثير لديهم مشاعر الغيرة على الوطن، والدّود عن ثقافة الأهل، فيجعلهم يلتحقون بحضيرة الحزب الذي يتكلّم باسمه، رأيته لأوّل مرّة، في أحد اجتماعات «الشبيبة المدرسيّة»، في ناديها بالحيّ المعروف بـ«حوانت عاشور»، حيثُ منزلٌ عائليّ. فخطب فينا المسؤول عن الشبيبة المدرسيّة، ثمّ تناول الكلمة شابٌ لم نكن نعرفه. فكان خطابه، لنا، يبدو جديداً، بالمقارنة بما كنّا نسمعه. كان يراوح بين الفصحى والدارجة. وفي كلّتيهما، كان فصيحاً في بساطة، بليغاً دون تكلف، مُجازج الجدّ بالدعابة. ويأخذ بمجامع نفوس الحاضرين، ونحن في يَفعةٍ من نشأتنا، نتطلّع، بشوق وطموح، إلى مبالغ الرجال.

كان، من أثر ذلك الاجتماع، أنّ تأكّد لديّ الميل إلى «الحزب الجديد» الذي ينتمي إليه

على

■ في احتفالات الذكرى الأولى للاستقلال (1957)، من اليمين إلى اليسار: أحمد التليلي، الباهي الأدهم، المنجي سليم، الأمين الشاقي، علالة البلهوان وعزّوز الرباعي

الواجب يدعوننا أن نذكر، بالتّرحم والتّقدير، مناظلاً من الأوائل، من الذين ضحوا بشبابهم، في سبيل الوطن، زمنّ المحنة الاستعمارية، حين كان يتحكم الأجنبي في أمور شعبنا، وفي تقرير مصيرنا. كان إذّاك المناضل عزّوز الرباعي، في مستهلّ شبابه، بالأقسام العليا من المدرسة الصادقيّة. وكان من بين أساتذته التونسيّين رجل شجاع، سيكون له شأن في الكفاح الوطني، لاسيما بتنشئة جيل من الشباب الصادقي، زرع فيهم روح الكفاح، من أجل كرامة تونس: هذا الرجل هو علالة البلهوان. وكان له تأثير عميق في تلاميذه بالصادقيّة، وفي أتباعه من الزيتونيين ←



وكان الحزب الشيوعي، إذًا، قد بدأ يتغلغل في المدارس، بتأثير أساتذة فرنسيين، وأساتذة يهود، كانوا يدعون إلى النضال الاجتماعي، باعتباره أهم من الكفاح السياسي - في نظرهم. ومرّت الأيام، ودخل عزّوز الرباعي السّجن. وغابت عنّا أخباره لمُدّة. ثمّ علمت أنّه توجه إلى دراسة الحقوق؛ ولعل الدفاع عن الوطن شَعَفَهُ حُبًا وحماسًا، فدَفَعَهُ إلى اختيار المحاماة مهنةً.

ولم يَعدّ اتصالي به إلا بعد الاستقلال، وقيام الدولة، إذ عُيّن على رأس كتابة الدولة للشباب والرياضة. بينما عُيّن أستاذه علاّلة البلهوان شيخًا لمدينة تونس - وكان الكثيرون يتوقّعون له وزارة التعليم. ورغم أنّ اضطراره بهذه المسؤولية لم يكن لمُدّة طويلة، فإنّ «سي عزّوز» أرسى قواعد في مجالات عديدة، يذكّر منها أهلُ الذّكر النواة لمشروع أطفال بورقيبة، للمّ شتات المُشرّدين في كلّ مكان؛ وتوحيد الحركة

الكشفيّة. ثمّ لما تولى الأخ أحمد بن صالح وزارة الإقتصاد، أنشئت مجموعة من الشركات التابعة للدولة؛ ومنها الشركة التونسية للتوزيع، المعروفة بـ«STD». وعُيّن لقيادتها عزّوز الرباعي.

قامت هذه الشركة بعمل حثيث، في خدمة الثقافة، من خلال توزيع الكتاب، في مختلف أنحاء البلاد، وفي الخارج. بل إنّ الشركة اهتمّت

عزّوز الرباعي يلقي خطابًا في اجتماع جماهيري بحضور الزعيم الحبيب بورقيبة وأحمد بن صالح وعبد الله فرحات والطبيب المهيري



الحكومة الأولى بعد الاستقلال مع الأمين باشا باي، ويظهر السيد عزّوز الرباعي خلف الباي والوزير الأكبر بورقيبة.



في حديث مع الشيوخ الطاهر ابن عاشور و العزيز جعيط والفاضل ابن عاشور و معالي الكاظم ابن عاشور.



السيد عزّوز (الأول على يسار الصورة) يمثل تونس في احتفالات مصر بالعيد الأول لتأميم قناة السويس بحضور الرئيس عبد الناصر (1957)



موقف خطابي بحضور الزعيم النقاوي أحمد التليلي



في جئارة الزعيم علاّلة البلهوان (1958). يظهر عزّوز الرباعي على يمين الصورة.



عزّوز الرباعي صحبة المنصف باي بمدينة بو، بفرنسا، إقامة الباي في المنفى



أيضا - ولو بصورة جانبية - بإنتاج الاسطوانات، وبعض التقنيات والمرافق الإدارية. ويُمكن أن نعتبر أنّ ما قامت به هذه الشركة، بإدارة سي عزّوز، كان إذًا لبنة هامة في بناء الثقافة التونسية. لكن، والحق يُقال، كانت مواهب عزّوز الرباعي متّجهة دوما إلى العمل الحزبي: إذ كان الرجل داعية لا يُشَقُّ له غبار، مسكونا بالشأن الشعبي. وكان الحزب في حاجة إلى مناضل من نوع سي عزّوز، وفي اتقاد حماسه الذي لم ينطفئ بعد الاستقلال. ولكنّه لم يَبُلْ من المسؤوليات ما كان يتطلّع إليه. ربّما «لطول لسانه»، فجعل له الخصوم في الأوساط القريبة من الرئيس.

ولقد وُسم في وقت ما. لكن ليس على الدرجة التي يراها مُحبّوه أنّه لها أهل، بحكم سبّقه في الكفاح، وتضحياته. والحق يُقال أيضا، لم يدفعه هذا الحرمان إلى الابتعاد عن الحزب، ولا عن النظام البورقبي، عند اندلاع الثورة اليوسفيّة. وحتىّ، بعد السابع من نوفمبر، كان همّه الأوّل إنقاذ الحزب من التلاشي: كان يغار عليه، ولا

يرضى له بزوال رسالته. ذلك أنّ الحزب، في نظر عزّوز الرباعي، مؤسّسة وطنية، ذات رسالة دائمة: قيادة الكفاح زمن الاستعمار؛ وفي عهد الدولة المستقلة، قيادة الجماهير الشعبية، في معركة الخروج من التخلف. كما أنّ سي عزّوز كان يرى أنّ الحفاظ على استقلال تونس لا يكون إلا بتقوية لحمة الشعب؛ ولحامه، في نظره، إمّا هو الحزب. وكان كثيرا ما يُحدّثني عن هاجس القاعدة الحزبية، لديه، وحرصه على وقايتها من الصّياح، باعتبارها رصيذا نفيسا في قلب التاريخ الوطني، وحصنا حصينا للوطن وللدولة.

فلما أنشئ حزب التجمّع، كان سي عزّوز يعتقد أنّه اسم جديد لحزب الأمة الذي أنشأه بورقيبة: الحزب الذي قاد كلّ المعارك بقوّة وامتياز. وخالصة القول، في بيان الدور الذي اضطلع به الأخ عزّوز الرباعي، في الكفاح الوطني، إنّ اسمه بقي رمزا حيّا من أبرز رموز الكفاح الوطني، ومرّجعا نضاليا في مسيرة الشباب التونسي



أعطى سي عزّوز الحزب الكثير من طاقاته، لكنّه لم يُعرَفْ له انتماء خاصّ إلى زعيم من كبار الزعماء. وربّما كان ذلك، أيضا، من أسباب بُطء صعوده في سلم المسؤوليات الحزبية. لكن، ممّا عوّض عنه الكثير من العُيّن، وأكسب حياته ألقًا خاصًا، أنّ قاسمته، جُزءا هامًا من مسيرته النضالية، إمراة ذات خصال لامعة، من فصاحة لسان، وجسارة قول، ورباطة جأش، وقوّة حضور. ولئن كانت تنتمي إلى أسرة من قلب «بلديّة» العاصمة، فقد كانت مشغوفة بالنضال، تفيض طموحا، وتتنقّد حماسا.

كانت أسماء بلخوجة في طليعة وجوه النضال النسائي. هي أيضا لم يكن يهدأ لها بال، إلا بالقيام بتبليغ رسالات الاتحاد النسائي، تحت راية الحزب. تحضر المظاهرات، في الصفّ الأوّل، وتواجه الصّعب ببسالة وعزيمة. عزّوز وأسماء، ربط بينهما الزواج، لكن أيضا وُحد بينهما النضال، والغيرة على الوطن، والتعلّق بحزب الأمة، مهما كانت الظروف. ش.ق.

عزّوز الرباعي صحبة بورقيبة في الاجتماع الذي عقده بالقيروان وبه ابتداء جولته العرضيّة عبر مختلف أنحاء البلاد التونسيّة إثر عودته من القاهرة، فيفري 1950

بورقيبة في استقبال رافع بمدخل مدينة قايس أثناء الجولة الكبيرة التي قام بها، في فيفري 1950 ويظهر من خلفه على متن السيارة: الهادي شاكر وعزّوز الرباعي ومناضلون من الجهة

برج الضيافة بصفاقس لمن يبحث عن الطابع المميّز

ارتقى نزل برج الضيافة بصفاقس وهو من فئة 5 نجوم إلى ترتيبه ضمن مجموعة «النزل ذات الطابع المميّز» HOTEL DE CHARME من قبل وزارة السياحة إقرارا بخصائصه الفائقة وتوجيا لمجهود تطويري مكثف. وتشترط الوزارة لمنح هذا الترتيب العالي، المحافظة على المقومات المعمارية والتاريخية العريقة للبنية وإسداء خدمات مشخّصة تخضع لقواعد التصرف الفندقي المحددة وذلك وفق القرار الوزاري المؤرخ في 29 جويلية 2013. ←

اختصاصات صفاقسية أصيلة وأطباق إيطالية أوروبية وغيرها، يحرص على إعدادها أمهر الطهاة. وتوفّر غرف برج الضيافة الفسيحة الإقامة المريحة للأفراد بكل مرافق الرفاهة والخدمات، فضلا عن 60 شبكة تلفزيونية بستة لغات مختلفة والترابط بالانترنت.

السّر في برج الضيافة هو الحرص على أدقّ التفاصيل والتّفاني في خدمة الزائر وهو ما يثابر عليه كلّ العاملين في النزل، من الاستقبال إلى الإدارة العامّة،

هذه المتطلّبات وأكثر تتوفّر بامتياز في برج الضيافة الذي يقع على بعد 10 دقائق فقط من وسط المدينة والمطار في نفس الوقت وامتزجت هندسته المعمارية بالطابع العربي الأندلسي وازدانت فضاءاته بتناغم المرمر مع النقوش فيما أثرته قطع الأثاث الأصيل والتحف الجماليّة رائعة، وتبقى كلّ أرجائه على اختلافها، من مقهى ومطاعم وقاعات اجتماعات وغرف إيواء، في أبهى مظاهر الضيافة. وبقدر ما يشتهر برج الضيافة بحسن القبول وكرم الوفادة، فإنّ مطاعمه تقدّم أرقى الأكلات من

كل



ومن المهمّ الإشارة إلى أنظمة السّلامة والحراسة التي أرساها النزل مما جعله الأكثر أمنّا في الجهة، الشيء الذي يشجّع، فضلا عن الخدمات الراقية المسّدات من قبل النزل، أكبر المؤسسات العالمية وكبرى شركات النفط على اختياره لإقامة أفرادها. للسياحة وللأعمال يبقى برج الضيافة، خاصّة بعد ارتقائه إلى مجموعة النزل ذات الطابع المميّز، الوجهة المثلى لكلّ من يزور صفاقس إذ ينعم بطيب الإقامة في فندق يجمع بين التراث المعماري الأصيل ورفاهة الغرف، ومرافق قاعات الاجتماعات وألذّ الأطعمة والأكلات. 📍

وفق معايير دولية حصلت على شهادة إثبات في الجودة من صنف ISO 9001 و ISO 22000 وتكمن دقة التفاصيل حتّى في تخصيص عون يتولّى ركن سيارّة الحريف بمأوى السيارات وأيضا مضيّفة تعتني باستقبال الحريف إلى حدّ إيصاله باب غرفته حيث وضعت على ذمته تشكيلة من الحلويّات الصفاقسية وسلّة فواكه طازجة وقارورة ماء معدني وكذلك نوعية موادّ عالية الجودة للتجميل والاستحمام، إلى جانب العديد من الخدمات المتميّزة الأخرى.

برج الضيافة نزل ذو طابع مميّز
طريق سكرة كلم 3 - 3052 صفاقس
الهاتف: +216 74 677 777
الفاكس: +216 74 676 777
sfax@hotelborjdhiafa.com

برج
الضيافة
Borj Dhiafa
HÔTEL DE CHARME

ماذا وراء تهجين العربية في وسائل الإعلام والاتصال؟



• بقلم فوزية بلحاج المرّبي

تفشّت ظاهرة ملفتة في وسائل الإعلام الوطنية العمومية منها والخاصة، سواء فيما يتعلق بالصحافة المكتوبة أو الإلكترونية أو السمعية البصرية وهي ظاهرة اللغة المزدوجة. بشكل عام، يطرح الموضوع مسألة الخطاب الإعلامي في إطاره الجغرافي والاجتماعي والسياسي. ويبدو المشهد الإعلامي والاتصالي، في مستوى الخطاب اللغوي في حال معقدة، تتطلب الوقوف عندها، لأسباب عديدة. أولها أن اللغة هي المفصل العصبي الذي يحرك المدلولات الأساسية في الرسائل التي يصوغها الخطاب الإعلامي والاتصالي. أما السبب الثاني، فيتلخص في المهارة الحرفية التي تسند ذلك الخطاب وتؤهل مؤدبه للوقوف في موقف باعث الرسالة أو بانها. سبب ثالث لا يقل أهمية عن سابقه وهو الفكر المرجعي الثقافي والسياسي والاجتماعي الذي يسند ذلك الخطاب. ←

لقد

عانى الإعلام منذ بروزه من القمع والمطاردة على مرّ الحقب التاريخية انطلاقاً من فترة الحماية مروراً بانتصاب الدولة الوطنية ووصولاً إلى الزاهن. وقد سعت السلطة السياسية إلى إدماجه في «معجم» اللغة الخشبية وغلّفت ذلك بالدعاية إلى ما سمي باللغة الثالثة التي ادّعت من ورائها تبسيط الخطاب الإعلامي وإيصاله للمتلقّي، إبان بناء الدولة الوطنية، متعلّلة بتفشي الجهل الذي تعمد الاستعمار الفرنسي أن يبقي عليه في المجتمع لتيسير سيطرته عليه ولاستغفاله عن حقوقه وحرّيته المسلوبة. على أن كلّ هذه المساعي لتشويه لغة الخطاب الإعلامي، لم يقابلها تهجين اللغة البلاد الدستورية والتي بقيت الأداة اللغوية الأساسية في الإدارة والتعليم والإعلام العمومي. كما أن ترسخ العربية الفصحى لم يسيطر على اللسان الدارج المحلي الذي اتخذ مسار تطوره، بل وكانت للفنون وخاصة منها السينما والمسرح والغناء، مساهمة فعلية في تألقه وترسخه في الحياة اليومية للمجتمع. صحيح أن ازدواجية اللغة تعود إلى فترة بعيدة، ولكنها بقيت في حدود الخطاب الاجتماعي اليومي، ولم تتعداه إلى الخطاب الإعلامي الذي بقي محافظاً على وحدة اللغة المستعملة، وذلك باستثناء بعض القنوات السمعية والبصرية وبعض الصحف في القطاع الخاص، في حين التزم الإعلام العمومي بوحدة اللغة.

الانفلات اللغوي

ما نشاهده اليوم وبعد أحداث 14 جانفي 2011، هو انخراط الخطاب الإعلامي والاتصالي في هذه الازدواجية اللغوية والتي أصبحت بمثابة الطابع المميّز للزاهن الموسوم بحريّة التعبير. ما وقع هو خلط بين حريّة التعبير من جهة والانقلاب على الطابع الرسمي والقدسي أيضاً لسان العربي الفصحى منه والدّارج. ذلك أن الرأي السائد يذهب إلى أن اللغة الرسمية هي لغة موسومة بسيطرة السلطة أي أنها مفروضة من قبلها وأن الحراك الاجتماعي الذي عقب أحداث 14 جانفي، بما هو هادم لأركان السلطة السياسية، وهو يقود بالضرورة إلى تكسير روافد

هذه السلطة ومن أهمها في الخطاب الإعلامي والاتصالي اللغة التي كان «يفرضها».

هل أن النظام القائم هو الذي فرض استعمال اللغة العربية؟ أم أنها كانت لغة المجتمع التي لقنها منذ قرون والتي حاولت سلطة الحماية أن تطمسها و تستبدلها بلغتها هي؟

انفلتت الازدواجية اللغوية من عقابها ومدّت الإعلام، فجر الأحداث، بصيغ خطابية يختلط فيها مزيج من اللهجات واللغات تنقّطها العربية بشيء من الاستحياء. احتجّ البعض فقيل إن العربية لم تتطوّر إلى مستوى العلوم والتكنولوجيات الحديثة ممّا يضطرّ بعض الإعلاميين إلى التعبير بلغات أجنبية.

والسؤال الملخّ في هذا الوضع يتعلّق بمنهج الاتصال والإعلام: إلى من يتوجّه الإعلاميون الاتصاليون في تونس؟ هل إن اللغة المزدوجة يمكن أن تؤدي وظائف الإعلام والاتصال في بلد يستعمل أهله اللغة العربية والدّارجة المحليّة؟ من المعلوم أن الشخصية الأساسية التونسية تتسم بقابليتها لإتقان اللغات الأجنبية، إلا أن هذه الخاصية لا يمكن أن تطمس اللغة الأمّ لهذه الشخصية كما لا يمكنها أن تؤوّل إلى الخلط بين الاستعداد الفطري لتقبّل اللغات الأخرى وحفظها من جهة والدّوان فيها ثقافياً واجتماعياً وعلمياً، من جهة أخرى. هذا الخلط لم يكن يمثّل واحداً من المحاذير التي يشكّلها التعامل مع التعدّد اللغوي، حينما كانت المدرسة تركز على الإنسانيات في التكوين العام للتلميذ حيث يبدأ تحصيله بدراسة اللغة وتلقّيها في تعبيراتها المختلفة جماليّاً من شعر ونثر وتربية دينية ومدنيّة تدرّجاً نحو لغات أخرى وتعبيرات فكرية وجمالية تفتح له نوافذ للإطلاع على عوالم مختلفة ينظر إليها انطلاقاً من بيته أي من لغته كما يسمّيها الأستيون. وهو ينمو، يتشبع بجمالية لغته من خلال تعامله مع مجتمعه وتواصله معه بواسطة اللغة نفسها. إلا أن الخطاب الإعلامي والاتصالي ذا اللغة المزدوجة، منذ 2011، صادف في أغلبه عن جيل تصادف فترة مدمرته تهميش الإنسانيات لفائدة العلوم الرياضية والتكنولوجية. وهو ما يطرح بحدة مسألة العلاقة بين المرجعية الفكرية والتعامل

مع لغة التخاطب، سواء في الإعلام والاتصال أو في التواصل الاجتماعي. إذ لهذا الوضع محاذير تتصل بالتفسخ على جميع هذه المستويات الثقافية والاجتماعية والعلمية.

إن التمرّد على السلطة عن طريق نكران إمكانات اللغة لا يفرض الخلاف معها لا من الناحية الثقافية ولا من الناحية السياسية. لأنّ تلك حرب خاسرة تذهب اللغة ضحيتها ولأنّ عجز اللغة وركودها لا يعودان إلى طبيعتها بقدر ما يعودان إلى تعامل السلطة مع البحث العلمي وتحنيطه المخطط وإرادة ركوده.

معجم الازدواجية اللغوية، تأليف صنّاع الرأي العام

هل أن للإعلام والاتصال وعي بخطورة هذا الوضع؟ وإلا فكيف يتعامل مع وضع اللغة و«جمودها» باتخاذ بديل هو الازدواجية اللغوية ادّعاء بأن اللغة العربية تفتقر إلى كثير من المصطلحات العلمية والفكرية والتكنولوجية. والحال أن الخطاب الإعلامي والاتصالي بعد 14 جانفي 2011، لا يقتصر في ازدواجية لغته على ما يدعيه من مصطلحات علمية أو تكنولوجية بل ويتعدّى ذلك إلى أبسط العبارات البديهية في الخطاب اليومي والتي لا تخلو منها العربية أو الدّارجة بل وتتوفّر منها على أجمال التعبيرات وأرقاها.

لست أدعي في هذا المقام، الدّود عن اللغة العربية في بعدها القدسي ولا في بعدها الاجتماعي. ولا أعتقد أن العربية في حاجة إلى إثبات ديمومتها وهي اللغة التي أكّد الباحثون والأستيون من فيهم المستشرقون استدامتها وصمودها لما يناهز الثمانية قرون وهي النسبة التي تتحدّد بها استمرارية اللغة، أي لغة كانت. لكن هذا المعطى لا يبرّر الاطمئنان على حيوية اللغة العربية في تعامل العرب معها والتفاهم عنها إلى لغات أخرى و لهجات أخرى، بدعوى عجزها وفقرها وغربتها عن الحقل العلمي والتكنولوجي. والحال أن مأخذ العجز والفقير الذي يوجّه إليها مرجعه ليس اللغة في حدّ ذاتها، ولكنه يعود إلى الهزات التي مرّت بها أولاً جزاء الخلفيات الإيديولوجية الاستعمارية، ثم جزاء تعامل الأنظمة الوطنية

مع اللغة وتأطيرها بقوالب جاهزة: القدسية والرسمية. واعتباراً للدور الذي تضطلع به المدرسة في تطوّر اللغة وديمومتها وإنعاشها بالبحث وإمائها بالتجربة الإنسانية عامة، فإنّ المدرسة سلكت مع التحصيل اللغوي مسلكاً يعتمد على القواعد الجاهزة وعلى وتيرة في التحصيل لا تتماشى مع النمو الثقافي والاجتماعي لطلاب العلم. ولنا في أثر ابن خلدون ما يؤكد نقده لكتب النحو والبلاغة التي يرى في اعتمادها بشكل مركز، اسلاباً لاستعداد الناشئة لحذق اللغة ورغبتهم في حذقها. وبالمقابل، فهو يعتبر أن أفضل طريقة لتعليم اللغة والتمكن منها هي الشواهد من شعر ونصوص ملحمية ومقامات تتجلى فيها جمالية اللغة وخصائصها وخبايا مدلولاتها وإمكاناتها الأسلوبية والسيميولوجية. وهي الطريق إلى نشأة الذوق والأذائقة التي يكتسبها المحصل فتقوى علاقته باللغة وتنمو رغبته في تطوير المبحث العلمي والفكري ولم لا التكنولوجي عن طريق لغته التي ترسخ لديه كجزء من انتماؤه وهويته الاجتماعية والثقافية والإنسانية أيضاً.

إن ظاهرة تهجين اللغة في وسائل الإعلام والاتصال تبدو، في أصلها، نتيجة طبيعية للمسار السياسي والإيديولوجي الذي تدرّجت فيه اللغة العربية. لكنّ تفاهم أعراضها بعد أحداث جانفي 2011، يندرج في الظاهرة الأخرى الأشمل وهي ظاهرة الانفلات الإعلامي الذي كشف عن ضعف المرجعية الاحترافية لعدد من الإعلاميين والاتصاليين. وقد لعب التشكيك في ضرورة حياد الإعلاميين دوراً هاماً في هذا الانفلات إذ فتح المجال إلى خطاب إعلامي متلون بالإيديولوجيا. وإضافة إلى ذلك، بدا هذا الخطاب مرادفاً للرغبات الحسية للمتقبل، دون حاجاته إلى الخبر وإلى المضامين الفكرية والسياسية التي حيرت الأحداث أسئلتها وأعدت صياغتها. أصبح الخطاب الإعلامي والاتصالي واجهة للتقلبات السياسية والعقائدية والاجتماعية تصوغه، لغة هي الأخرى تقليعة لسانية، يعامل فيها المتلقّي بمثابة المتطع إلى قالب يشكّل حسبه آراءه السياسية وأفكاره وبلقن (بعبارة المصطلح الخلدوني) لغة بديلة لهويته التي أربكها الاغتراب التربوي والثقافي والاجتماعي. ■

ف.ب.م



أي دور للمثقف التونسي؟

ما يشهده العالم اليوم من تحوّل على صلة بالرأسمال الثقافي وبالصناعة الثقافية وبأدوار المثقف، هو مؤشر على تحوّل أعمق وانتقال من طور إلى آخر، ليس في مجال الثقافة فحسب. وتبعاً لتلك المستجدات، يبدو التونسيون اليوم أحوج ما يكون إلى تطوير رؤاهم، وإلى إيجاد صيغة تشحذ الروح وترسخ التوازن وترتقي بالإنسان، تؤسس لفعل حضاري إيجابي مؤثر في واقعهم، بعد أن دبّ التنفّس في العديد من أشكال النظر والعمل السالف؛ وبالمثل تصلهم بالعالم ليعرفوا مقامهم فيه، ويدركوا مستويات إسهامهم في بناء صروحه، الفنية والجمالية والفكرية والقيمية. ←



• بقلر د. عز الدين عناية

فلا

يمكن أن نزعّم أن الوضع الثقافي التونسي الحالي، المتسم بالسطحية، فضلا عن طابع الشكلانية الطاغية عليه، قادر على أن يوفّر إشباعاً على مستوى الداخل، أو أن يكون منافساً مقتدراً على مستوى الخارج. فنحن أمام محدودية الفعل الحضاري التونسي بوجه عام، داخلاً وخارجاً. واللسان الثقافي الذي نتحدث به مع أنفسنا يعنونه الخلل، والذي نخاطب به العالم يشي بفهم قاصر لسير هذا العالم. ذلك أنّ التكتل الغربي المؤثر بشكل واسع في وقائعنا السياسية وفي مساراتنا الحضارية، تفصلنا عنه هوة سحيقة، يتجلّى ذلك في فتور الثّقاف معه وعجز حتى جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية والبحثية عن مواكبة

ما تمور به أوساطه العلمية من طروحات وآراء وأبحاث ومؤلفات.

تخليق نموذج جديد

ما هي الملامح البارزة لهذا النموذج الثقافي الجديد إذا ما أقررنا بأنّ عالمنا بصدده هجران طور تتقلص صلاحيته والدخول في طور مغاير؟ لا شك أنّ الثروات الثقافية عامة، والمثقف أحد عناصرها المهمّين، قد شهدت تبديلاً في وظائفها وأدوارها، ولعلّ ذلك حاصل بموجب السيوّلة المفرطة التي تطبّع أوضاعنا اليوم: «المجتمع السائل»، و«الحدّات السائلة»، و«الأخلاق السائلة» وغيرها، استناداً إلى ما رصده المفكر البولندي زيغمونت باومان. ذلك أن وعود النموذج الثقافي المنشود تقتضي التملّي في معطين: كيفية استثمار الفعل الثقافي في الداخل التونسي بطريقة ناجعة، يمكن أن تنعكس إيجاباً على الناس في الرقيّ بأحوالهم وتطوير نظرتهم للحياة؛ ومن جانب آخر، كيفية الإسهام في المسار الثقافي الكوني، أخذاً وعطاءً، وبشكل إيجابي أيضاً، دون انعزال عن حراكه أو قصور في فهم الشكل الذي يسير به أو الآليات التي تتحكّم فيه؟

لكن لعلّ من البديهي أن نذكر بأنّ الثقافة التونسية لا يمكن أن تبني خريطة طريق سالكة في ظلّ اهتزاز الثقة بمخزونها الحضاري وبلغتها وبكيانها. ذلك أنّ الظرف يقتضي عملاً حثيثاً لرّد الاعتبار للذات المهشمة والجريحة. كما أنّ النموذج التونسي المنشود يقتضي من المثقف أن يكون بمنأى عن التوظيف السياسي. إذ ثمة مطبات ترتبّ به، تشلّ إمكانياته وتقلص من قدراته، ومن بين المطبات تلك خضوع مخياله إلى هذه الجهة أو تلك. وهو ما لم يتحرّر من هذا الكابوس وبيني إنجازاته بمنأى عن هذه الضغوطات، فإنّ ذلك يبقى معطلاً لإبداعه. فأمام شتى أشكال الإغواء لا يمكن أن ننفي تورّط المثقف في الأجنّات السياسية، والصراعات التي تشقّ البلاد في الراهن المكتنّز بالتحديات.

ولو تابعنا الحضور الثقافي التونسي خارجاً نلحظ أنّ التونسيين يعرضون أنفسهم أمام عالم اليوم بوجه ثقافي شاحب، مغاير للمفهوم النضري السالف. وحتى التونسيين ذاتهم لم

يعهدوا في أنفسهم هذا الفتور، ولو إبان أحلك فترات التراجع والغزو والاستعمار، حيث واكب الانتكاسات تحفّر تخلّل جلّ فترات التآزم. في هذه الأجواء العسيرة، لا يمكن للتونسيين أن يبشّروا بطرح ثقافيّ واعد، ما لم يكونوا أكثر إيماناً بجذواه وأكثر إخلاصاً في تطبيقه، ولا يمكن للتونسيين أن يحوزوا موضعاً معتبراً في هذا العالم، بعد أن باتوا عالة عليه، ما لم يدركوا ما يدور في هذا العالم ويعوا سيره. إضافة ثمة قطاعات ثقافية وحقول معرفية وعلوم مبتكرة في الإنسانيات والاجتماع لا يفهما التونسيون حقها إلماماً وإمّاءً، والحال أنّها مفاتيح لفهم الحراك الثقافي والمعرفي الدائر في عالمنا. فالجلي أنّ تونس تدرّس اللغات الأجنبية في جامعاتها ولكن إسهام أقسام اللغات تلك في ربطنا بالثقافات الأجنبية وبالزخم الحضاري العميق لبلدنا ضئيل ومحدود جداً. وكأنّ المسألة مقتصرة على الترديد الميكانيكي للغات الأجنبية دون حاجة إلى الإلمام بمخزون المجتمعات الثقافي والسياسي والاقتصادي. ما جعل إطلالنا على الحضارات مفرغاً من مدلوله، ولا يسهم في ترشيحنا إلى ما نصبو إليه. ولا يعني النقص الفادح أنّ التونسيين يفتقدون إلى خطة في الراهن، لكن الجلي أن رؤيتهم يعترها الاضطراب ويتخللها الارتجال.

مراجعة السياسات المعرفية

منذ عقود لدينا جدلاً محمومٌ يدور حول سؤال: أي نموذج مجتمعي نريد، إسلامي أو علماني، ديني أو مدني؟ دون أن نبلغ حلاً في فك هذه الأحجية، وواقع الأمر يكشف أن هناك رؤية سحرية بالفعل في الإدراك التونسي لتلك الخيارات، متأت من هشاشة مفهوم الثقافة وافتقارها إلى مرجعية رصينة. وكأنّ مجرد موالاة الخيار العلماني أو الخيار الديني، على مستوى لفظي، كاف لبلوغ الخلاص. والحال أنّ التحزّب السطحي، على ما نحن عليه، هو حلّ مضللّ لما يخلّفه من هدر للطاقات دون وعي بعمق المسألة. فليست العلمانية في الغرب حلّة سحرية، بمجرد أن ترتديها الشعوب والجماعات تحلّ عليها بركتها، وإمّا هي رؤية ثقافية وخطة ليفضّ الناس خلافاتهم بحكمة وروية، وحتى يجدوا سبيلاً للتفاهم بين بعضهم البعض. فقد أرسى القوم نهجاً تواضعوا عليه بينهم، يراعي مجمل الأطراف، ولنُطلق على

ذلك التوافق ما نشاء «علمانية» أو «فهمانية» أو «حكمانية» أو «عيشانية»، ولكنه يبقى سبيلاً عملياً لتجاوز التداخات المقبّات داخل المجتمعات وفضّه بطريقة حضارية. وبالتالي يقتضي النموذج الثقافي التونسي المنشود الخروج من طور أوهايم التغيير الإيديولوجي إلى طور حقائق التغيير العملي بعيداً عن المهارات اللفظية. ذلك أنّ كثيراً من المؤسسات الثقافية الرسمية في تونس هي مؤسسات ينخرها سوس البيروقراطية، وهي تجمّعات لشغيلة رثّة تتلقّى رواتب، وبالكدّ تتمّ مهامها الإدارية، وهي دون القدرة على إنتاج ثقافة مجتمعية حيوية. إذ لا تخلو البلاد من وزارات وهيئات مكلفة بشؤون الثقافة والإعلام، وقد تحولت فيها جحافل الموظفين والإداريين والساھرين إلى أخطبوط متحكّم بمفاصل الثقافة دون إنتاج ثقافة. ودائماً ضمن تلمّس ملامح الطور الجديد، يتأكد بعد تراجع الأنماط الثقافية المؤدلجة والمسيسة أن الرهان على الطروحات الثقافية ذات الطابع العقلاني والعلمي، بوصفها الأقدر على مسانرة التحوّلات والأكثر قبولاً عند مخاطبة العالم، هي الأوفر حظاً. فالثقافة التونسية ينبغي أن تكون إنسانية الملامح حتى تحوز مكانة في المسرح العالمي وحتى لا تنحصر في عزلة قاتلة.

وضمن هذا التطلّع لبناء سياسة ثقافية جديدة، من المفترض أن تلعب الأوساط الأكاديمية التونسية دوراً ريادياً في صياغة النموذج الثقافي المرجوّ، غير أن وعود إسهامها في هذا الجانب ضئيلة وهامشية. ولطالما عزونا الأمر في السابق إلى التهميش السلطوي المقصود للمثقف، وإلى مناخ الدكتاتورية السائد، وهي في الحقيقة تبريرات نسبية، تسترنا بها عن العياء الذي يشلّ الأكاديمي التونسي، بعد أن بات همّه الترقّي في سلم الوظيفة، ومضاعفة الراتب، دون بذل جهد علمي حقيقي، بل سبيله إلى ذلك الأقدمية والشللية والولائية، وغيرها من سبل النط السريع. هذا الوضع الطاغية في الساحة الأكاديمية غالباً ما يخلّف إحباطاً وفتورا، لذلك قلّة من الأكاديميين من يشتغلون داخل الجامعة وخارجها، لأجل النهوض بالثقافة. فواقع الحال يكشف أنّ ثمة عطالة أكاديمية متفشية سلبت الجامعي إمكانيات المساهمة في تطوير المجال الثقافي وتحويره. ■ ع.ع.



الدراما التلفزيونية في رمضان شخّ في الإنتاج وضمور في الخيال



• بقلم د. محمد ناظم الوسلاطي

اعتادت القنوات التلفزيونية التونسية أن تتسابق في شهر رمضان لتقديم أعمال درامية من شأنها إشباع انتظارات المتفرّج المتعطّش إلى إنتاج درامي وطني، راق أصيل. وبانقضاء الشهر المبارك، حري بنا أن نسلط الضوء على أبرز الأعمال التي شغلت الناس وشكلت موضوع الساعة في وسائل الاتصال السّميّ البصري ومواقع التواصل الاجتماعي على مدى الأيام الماضية. ومن اللافت للنظر، غياب الإنتاج الدرامي عن التلفزة التونسية في سابقة هي الأولى في تاريخ المرفق العمومي نتيجة غياب الاعتمادات المالية وضبابية الرؤية، مقابل حضوره بصورة حصرية في القنوات التلفزيونية الخاصة..



خروج الشهر الكريم، يسدل الستار على الموسم الدرامي الرمضاني لهذه السنة، والذي عرف شخّا على مستوى الإنتاج وإخفاقا لبعض الأعمال التي كانت خارج السياق الفني للعمل الإبداعي، وذلك نتيجة غياب الخيال وافتقاد بعض النصوص الدرامية إلى الحكمة المتقنة، بالإضافة إلى ضعف الأداء الفني لبعض الممثلين. فبعض الأعمال ولد مشروعاً ميتاً حيث لم يتبنّاه المشاهدون ولم يتحمّسوا له، وبعضها الآخر لاقى الاستحسان منذ عرض الحلقات الأولى وحظي بمتابعة جماهيرية كبيرة.

كما راهنت جميع القنوات التلفزيونية التونسية، بنوعيتها العمومي والخاص، على «كوميديا الموقف» أو بما يعرف بـ «السيت كوم» (Sitcom) وهي عبارة عن سلسلة تلفزيونية فكاهية، لا تتطلب إمكانيات مادية وتقنية ضخمة، وتهدف بالأساس إلى الإمتاع وتسليّة الجمهور عبر تضخيم الحدث وتقديم شخصيات ومواقف هزلية. غير أنّ هذه الأعمال كانت في مجملها باهتة وبلا روح وفارغة من أي مضمون أو رسالة، وصلت إلى حدّ التهريج والسطحية المبتذلة في الكوميديا نتيجة اجترار القوالب القديمة والصوّر النمطية. وعلى الرّغم من أنّ الساحة الفنية تزخر بفنانين

موهوبين وبتقنيين على مستوى عال من الحرفية، فإنّ بعض الأعمال الرمضانية كانت ضعيفة ولم تخل من كثرة الأخطاء الإخراجية والتصويرية الفادحة وذلك نتيجة تأخّر موعد انطلاق مرحلة التصوير وما رافقه من تداعيات على عمليات ما بعد الإنتاج (المونتاج والميكساج).

منافسة بين دراما القصور ودراما الأحياء الشعبية

من أبرز الأعمال الدرامية التي نجحت في شدّ انتباه التونسيين خلال هذا العام،

مسلسل «شورّب» الذي بثّ على قناة التاسعة ومسلسل «تاج الحاضرة» الذي شكّل الطبق الرئيسي في البرمجة الرمضانية على قناة الحوار التونسي. كلا المسلسلين نجحا في القطع مع الدراما التقليدية، ليقوم الأوّل باستدعاء الذاكرة الشعبية من خلال شخصية «علي شورّب»، فيما حاول الثّاني طرق أبواب التاريخ لاستطلاع حقبه زمنية من تاريخ حكم بايات تونس.

مسلسل «شورّب» يأتي في سياق الصعود المتزايد الثقافة الشعبية في تونس على حساب الثقافة النخبوية «المتعالية» التي لا تستهوي عامة الجماهير وتعتبر حكرا على المثقّفين دون غيرهم، ذلك أنّ الثقافة الشعبية تقطع مع القوالب الجمالية التقليدية والمعايير الفنية الثابتة التي لا تلبّي انتظارات عامّة الناس ولا تلتزم بإمتاع الطبقات الشعبية بالأساس. وهذا ما أكّده نتائج سبر الآراء ونسب المشاهدة العالية لهذا العمل الذي انقسمت بشأنه الآراء بين مؤيد ورافض، نتيجة تسليطه الضوء على شخصية شعبية غامضة ومثيرة للجدل. فهناك من يصنّف «علي بن البشير الصغير»، الذي اشتهر بكنية «علي شورّب» والمنتمي إلى عالم «الصلعكة الشريفة» بطلا شعبيا مناصرا للفقراء والمساكين وهناك من يعتبره صلوكا ماجنا ومنحرفا خطيرا، روع أهالي العاصمة في الخمسينات والستينات من القرن من القرن الماضي. وفي كلتا الحالتين، نجح هذا العمل في إثارة الإعجاب والفضول لدى عامّة المشاهدين المتعطّشين إلى إماطة اللثام عن هذه الشخصية.

شخصية نحتتها الذاكرة الشعبية في أذهان التونسيين من الفئة العمرية الأكبر سنّا وتوارثت أخبارها الأجيال عبر السنين، ليقع تجسيدها لأوّل مرّة في عمل درامي غير مألوف وغير مسبوق لدى المشاهد التونسي. العمل في مجمله كان متوسطا و لم يرتق إلى مستوى عمل فني متميّز، وذلك نتيجة عديد الإخفاقات خاصّة على مستوى توزيع الأدوار وإدارة الممثلين، باستثناء البعض منهم حيث لم ينجح الممثل لطفي العبدلي في تجسيد شخصية علي شورّب الذي كان معروفا

بصلابة بنيته الجسدية وشدّة عضلاته وعنف قبضته وصوته الأجرس، كما أنّه لم يتمكّن من الحفاظ على نفس المردود والأداء التمثيلي طيلة حلقات المسلسل ممّا أفقد الشخصية جزءا أساسيا من مقوماتها ودفع بها إلى خلفية العمل لحساب شخصيات أخرى قام مؤدّوها برسم ملامحها بحرفية كبيرة، على غرار دليّة مفتاحي (أم علي شورّب) ومعز القديري (عمّار).

ورغم أنّ السياق الدرامي للمسلسل فرض الحضور المكثّف لمشاهد العنف الجسدي، فإنّ توضيب المعارك والاشتباكات اتّسم بالارتجالية وعدم الحرفية في ظلّ غياب خبير معارك وغياب المؤثرات البصرية والصوتية التي من شأنها أن تضفي أكثر إثارة وتشويقا على هذه المشاهد.

في الجهة المقابلة حاول مخرج عمل «تاج الحاضرة»، سامي الفهري، أن يأخذنا في رحلة عبر الزمن، لنستطلع معا حقبه تاريخية مهمّة من تاريخ تونس، لم تطرح فنيّا ودراميا، وهي فترة حكم البايات في أواخر النصف الأوّل من القرن التاسع عشر. المسلسل استمدّد أحداثه من وقائع تاريخية وشخصيات حقيقية وواقعية، حيث تمّ تطويع هذه المادّة التاريخية خدمة لبعض المتطلّبات الدرامية والضرورات الفنية. فمن الثابت أنّ قواعد السرد الروائي في الدراما التاريخية تختلف عن عملية كتابة التاريخ التي لها ضوابطها وأطرها المرجعية الدقيقة، إلا أنّ مسلسل «تاج الحاضرة» اتّخذ من التاريخ سياقاً ومتمكّنًا لبناء أحداث درامية تحاكي في مضمونها حكايات المسلسل التركي «حريم السلطان» القائم بالأساس على حكايات العشق المستحيلة والجوّ المشحون بالفتن ودسائس القصور والمؤامرات التي تحاك بداخلها، ليكون ذلك على حساب الصراعات السياسية والتحوّلات الاجتماعية الكبرى التي تميّزت بها تلك الفترة. نتفهم بالطبع استبعاد الأحداث والتفاصيل التي لا تسهم في صياغة حبكة فنية مثيرة ومشوّقة، ولكن ما لا يمكن قبوله هو الحضور الباهت، الذي يشبه العدم، لشخصيات ورموز تاريخية كبيرة كان لها تأثير مهمّ في تلك الفترة، على غرار خير الدين

باشا وأحمد ابن أبي ضياف ومصطفى خزندار إبخ، مقابل التركيز على العوالم الخفية لنساء الباي وصراعات الحياة اليومية في القصور. تقنيا، المسلسل قدّم صورة عالية الجودة من حيث الإضاءة والتصوير الفوتوغرافي، امتزجت بموسيقى تصويرية رائعة ومتناغمة مع السياق الدرامي للعمل، الذي اعتمد على قصور مدينة تونس وبعض الأبراج التاريخية التي استخدمت كديكور طبيعي لاستقبال الأحداث، بالإضافة إلى تصميم الملابس والأزياء ومكملاتها من حلّي وماكياج وأغطية رأس، حيث جاء تشكيلها والتصاقها بارعا في توصيف الشخصيات ورسم ملامحها التاريخية والإنسانية. غير أنّ الرؤية الإخراجية للعمل كانت متواضعة ولم تحمل معها الجديد خاصّة من الناحية الجمالية والحركية، حيث أطنب المخرج في التلاعب بالزمن عن طريق زيادة وتيرة التصوير (ralenti) في بعض المشاهد وفسح المجال إلى مساحات كبيرة من الصمت الدرامي المطول لحساب الموسيقى التصويرية، بالاعتماد على طريقة توليف (montage) تشبه الأسلوب الإخراجي للفيديو كليب.

على الرغم من النّجاح النسبي للمسلسلين في كسب رهان الجمهور، فإنّي اعتبر أنّ هذا النوع من الدراما ليس مجالاً لانتهاك حرمة التاريخ أو تزوير الذاكرة الشعبية من خلال تحويل عملية الاستلهام من التاريخ إلى مجرد إسقاط فني. وبقطع النّظر عن مدى انعكاس هذه المنافسة على نسب المشاهدة وقدرتها على تثبيت المشاهد أمام القنوات العارضة لها، سواء على الشاشة الصغيرة أو عبر مواقع التواصل الاجتماعي، يبقى الواقع الفني والإبداعي للأعمال الدرامية الرمضانية دون المستوى المطلوب، رغم عديد الاجتهادات، ويعود ذلك بالأساس إلى غياب أهل السرد عن كتابة نصوص درامية متميّزة ومتقنة ترتقي بهذه الأعمال إلى مستوى مثيلاتها في العالم العربي، بالإضافة إلى غياب عملية تقييم ونقد موضوعي يوجّهها ويكشف مواطن الضعف فيها، خاصة بعد أن فقدت الكثير من بريقها ومكانتها. ■

م.ن.و.



من يريد فرض ثقافة الهامش؟

تقدّم وسائل الإعلام الخاصّة بكثافة مواد ثقافية قد يعثرها البعض في منتهى الرداءة والإسفاف، يشمل ذلك أغاني «الراب» المتداولة بقوة بين اليافعين، والبنوعات التلفزيونية ذات القوالب المستوردة، وصولاً إلى إنتاج درامي تركز الاختلاف في تقييمه على المضمون القيمي الذي يمثله. ويتزدّد باستمرار توصيف ما يحدث بأنه «تدمير منهجي لبنية المجتمع القومية والأخلاقية تحت مسمى حرية التعبير والعولمة الثقافية» بل ويصل الأمر لدى البعض إلى اتخاذ هذا الانفلات الثقافي دليلاً على إخفاق المسار الثوري برّمته! ←



• بقلم عامر بوغزة

بعيدا

عن نظرية المؤامرة، تشهد الكثير من المضامين الثقافية التي تعتمد وسائل الإعلام حقاً على حدوث انزياح كبير فقدت بموجبه بعض التعبيرات الفنية سلطتها على الذوق العام لفائدة أمطاب تعبير جديدة قادمة من الهامش، فالمواجهة التي أودت إلى انهيار منظومة الحكم في 2011 رفعت شارة العصيان أمام كل ما يمثل السلطة القائمة بما في ذلك التعبيرات الثقافية والفنية السائدة. وما نراه اليوم هو أيضاً حصاد مرحلة اتّسمت بالانفلات احتدّ فيها الصراع بين المرکز والهامش. والثقافة الهامشية كما يعرفها رائد الجغرافيا السياسية «فريدريك راتزل» (1844 - 1904) هي الثقافة التي تتأخّم ثقافة أخرى وتتميّز بفقّر عناصرها

واقصادها، ويمكن سحب هذا التعريف على كل أشكال التجاور في المنظومة الثقافية الواحدة لرؤية ديناميكية التحول داخلها، لقد رفعت «النوبة» في بداية التسعينات الحصار على آلة «المزود» لتصبح جزءاً من الثقافة الشعبية الرسمية، كما أخرجت «الحضرة» الأنشيد الصوفية من بين جدران الزوايا والحفلات العائلية الضيقة لتصبح عرضاً فرجويًا واحتفالاً جماهيريًا فضلاً عمّا أصبحت توفره من مجالات للتجريب والابتكار في تطوير التراث. ولا يمكن عزل هذا التحول الذي أفضى إلى تبادل المواقع بين الهامشي والمركزي عن السياق السياسي والاقتصادي الذي حدث فيه حيث تزامن انهيار المعسكر الاشتراكي وقيام النظام العالمي الجديد مع حرب الخليج الثانية وكانت إعادة اكتشاف هذه التعبيرات

تندرج في سياق معركة الاستثناء الثقافي في مواجهة العولمة، وكان ذلك أيضاً جزءاً من «المصالحة» التي باشرها النظام السياسي الجديد والتي أفضت إلى إعادة تشكيل خارطة مواقع القوى سياسياً واقتصادياً وثقافياً أيضاً!

لكن عندما كتب الشاعر علي اللواتي في 2011 نشيداً في قالب قصيد عمودي على البحر المتقارب لحنه ربيع الزموري بشكل أركستراي، أخفقت كل محاولات وسائل الإعلام في جعله لدى الجمهور «نشيد الثورة التونسية»، ولم يستطع التفوق رغم قيمته الإبداعية على نشيد آخر مجهول المصدر رذده المعتصمون في القصة. في تلك الفترة بدأت أغاني «الراب» تجد طريقها إلى وسائل الإعلام في سياق «تقديم

الاجتماعي حيث لا سلطة لأحد مطلقاً خارج ما يفرضه منطق الربح.

الثقافة الوطنية اليوم في حاجة إلى من يحزرها من قبضة الصورة الاستهلاكية النمطية ومضامين العنف والمواجهة التي تتمعش منها قنوات القطاع الخاص. لا نتحدث هنا عن الرقابة بأشكالها التقليدية بل عن تخطيط استراتيجي ينبغي أن تقوم به وزارة الثقافة إجابة عن سؤال كبير «أي ثقافة نريد؟» وألاً تقتصر في عملها على أن تكون مجرد «متعهد حفلات»، فالسلطة السياسية بكل مكوناتها مؤتمنة على الثقافة واقعا ومآلاً وعليها أن تسترد دورها بفرض التنوع والعمل على أن تكون الثقافة في خدمة التنمية لا ضدها وعلى جعل التدافع يحتكم إلى القيمة الإبداعية لا إلى قوة رأس المال. ع.ب.

النظر في القوانين الرادعة لتعاطي الرّطة. لقد ارتبطت التحولات الثقافية الكبرى تاريخياً بالتحولات السياسية، ولذلك فإنّ التدافع بين المرکز والهامش ليس الأ صورة من صور التدافع بين الغالب والمغلوب وفق التعريف الاجتماعي للثقافة لدى ابن خلدون، وبهذا المعنى تبدو الثقافة المرکزية اليوم بكل تعبيراتها الفنية مهزومة في واقع ثقافي جديد فرضته ثورة قام بها «المهمشون»، لكنّ الطريق الذي تسير فيه الثقافة اليوم مختلف عن الطريق الذي سلكته في بداية الاستقلال أو في التسعينات، فهي طريق تتجه بقوة نحو المجهول، يعود ذلك إلى فقدان السلطة القدرة على فرض «ما ينبغي أن يكون» ثقافياً، في ظلّ حرية مطلقة يتمتع بها قطاع الإعلام الخاص الذي يوجّه الرأي العام دون ضوابط، ويساير شبكات التواصل

البدايل» لا سيما أنّ هذه التعبيرات التي يقدّمها الشباب وتنتشر في مواقع التواصل الاجتماعي تمتاز بجماليات تعبيرية مختلفة تستمد طاقاتها من الواقع اليومي المعيش وتقوم مضامينها على التمرد ومواجهة السلطة القائمة بكلّ تجلياتها بدءاً من سلطة اللغة والأخلاق وصولاً إلى سلطة الدولة. وقد أدّى اعتبار الثورة من صنع الهامشين إلى جعل رموز السلطة يتودّدون بكل الأشكال لمن يمثّلون الهامش ويتقرّبون إليهم ولا يمانعون في أن تكون ثقافتهم مكوّناً أساسياً في المشهد الثقافي، كأن تدرج حفلات الرّاب بكلّ ما تقدّمه من مضامين تحثّ على العنف والتمرد والانحراف جزءاً من برنامج مهرجان قرطاج السيادي، وكأن يتزئم الباجي قائد السبسي أثناء حملته الانتخابية بأغنية «حوماني» ويتمايل طرباً على أنغامها وهو يجالس ثلّة من الشباب ويعدهم بإعادة

يكفيك القليل لكي تملك الكثير إيطالكار تطلق فيات تيبو في نسختها الجديدة ذات خمسة أبواب

كما تتميز سيارة فيات تيبو 5 أبواب الأنيقة والقوية بمصايح للضباب ومداخل انسيابية للهواء لتحقيق أقصى قدر من الكفاءة الهوائية الديناميكية. وتحتوي سيارة فيات تيبو ذات 5 أبواب على ناقل حركة يدوي 6 سرعات، ومحرك متطور ذي 4 أسطوانات 95 حصاناً، ويستهلك 5.7 لتر / 100 كم في الدورة المركبة ويلفظ 132 غراماً من ثاني أكسيد الكربون لكل كيلومتر يتم إطلاقها من 0 إلى 100 كم / ساعة في 12.1 ثانية، وتبلغ سرعتها القصوى 185 كم / ساعة. ويبلغ عرض السيارة 1.792 ملم. وتبلغ طاقة استيعاب خزائنها 50 لترًا وتزن 1195 كيلو غراماً.

بعد نجاح فيات تيبو ذات 4 أبواب، تأتي إيطالكار اليوم بالنسخة الجديدة من فيات تيبو ذات خمسة أبواب لتكمل بذلك مجموعة فياتوتدعم موقعها في السوق التونسية، حيث أطلقت شركة إيطالكارالموزع الرسمي لعلامات Fiat وAlfa Romeo وLancia وJEEP وIVECO في شهر ماي، سيارة Fiat Tipo الجديدة ذات الخمسة أبواب. وبها تعود شركة فيات إلى موديل C مع سيارة تيبو الجديدة، كما تأتي النسخة الجديدة بخمسة أبواب بتصميم جميل وانسيابي. وتتنتمي فيات تيبو ذات خمس أبواب إلى مجموعة السيارات ذات الجودة العالية منخفضة الثمن، كما تستجيب جيداً لنهج العلامة التجارية وهو يكفيك القليل كي تملك الكثير. إنها سيارة مدمجة رياضية وأنيقة في نفس الوقت إذ تتميز بجودة عالية وممتازة مقابل ثمن مغر وفريد غير قابل للمنافسة. تضمن السيارة رفاهية كبيرة بمقاعد المريحة والواسعة التي يمكن أن تستوعب 5 أشخاص بالغين أكثر من 1.80 متر، ممّا يضمن حيوية للركاب وحرية كبيرة في الحركة.

وقد احتلت نسخة تيبو ذات الأربعة أبواب ذات الخلفية الرياضية موقعاً تنافسياً ومتميّزاً للمستهلكين العاديين. وتمّاشيا مع القيم التاريخية لعلامة فيات التي تتسم بالعملية والبساطة، فهي تهدف إلى تلبية احتياجات حداثها أولاً وقبل كل شيء من خلال عرض متنوع بسيط بثمن في المتناول.

كما تم الاحتفاظ في نسخة الخمسة أبواب لفيات تيبو ذات الخمسة أبواب بنفس المكونات التي تشكّل نقاط قوة لفيات ذات أربعة أبواب، وهي عبارة عن معدات قياسية كاملة بما في ذلك مكيف الهواء ومرآيا الرؤية الخلفية الكهربائية ومقعد خلفي مقسم بنسبة 60/40، ونوافذ كهربائية في المقدمة ورادار ورايو السيارة مع مقبس USB.

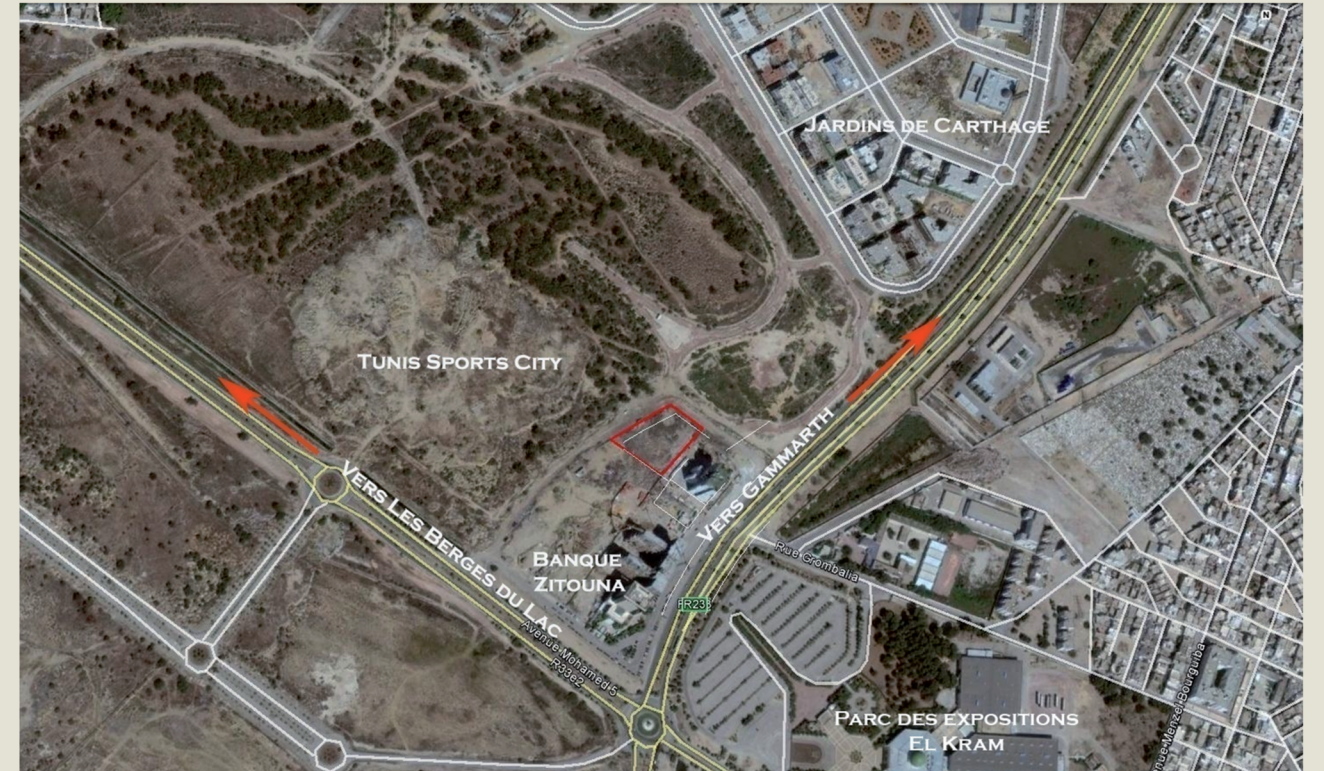




شركة عقارية قمرت
مقرّها الاجتماعي: عمارة الكرامة القابضة بحيرة أناسي
ممرّ بحيرة الملاوي ضفاف البحيرة 1053 تونس
الهاتف: +216 71 962 218 أو +216 71 960 100
الهاتف الجوال: +216 98 910 000 الفاكس: +216 71 962 175
www.gammarth-immobiliere.tn
Contact@gammarth-immobiliere.tn

إعلان بيع طلب عروض عدد 27 لسنة 2018 (5125 م² مهياة R+10 بضاف البحيرة)

تعتزم شركة «عقارية قمرت»، شركة على ملك الدولة خاضعة لأحكام القانون التونسي، الإعلان عن طلب عروض للتفويت رضائيا لحساب شركة «التاجر العقاري» في مقسم كائن بالمنطقة الشمالية الشرقية لضفاف البحيرة (قسط وحيد):



- المساحة: 5 125 م²
- العنوان: المقسم I2 من تقسيم الرسم العقاري 139508 تونس، «إقامات المنتزه» المنطقة الشمالية الشرقية لضفاف البحيرة، بالقرب من بنك الزيتونة والمنطقة السكنية لحدائق قرطاج ومدينة تونس الرياضية.
- الخصائص العمرانية:
 - الصبغة : سكنية.
 - نسبة إشغال الأرض (COS): 0.6
 - نسبة الاستعمال العقاري (CUF): 5
 - الارتفاع : 44 متر (R+10).

يمكن الإطلاع على الأمثلة الموقعية للعقار على الرابط www.gammarth-immobiliere.tn أو مباشرة بالمقر الاجتماعي لشركة «عقارية قمرت» أو مكتبها بمدينة سوسة.

يتم التفويت في الرسوم العقارية موضوع طلب العروض خالية من الرهون أو التحملات. و ترجع ملكيته الى شركة «التاجر العقاري» شركة صادرة راس مالها على ملك الدولة التونسية.

وتخضع إجراءات التفويت الجارية للأحكام والبنود الواردة بكراس الشروط النموذجي وبنص إعلان طلب العروض.

يتعلق البيع بالملكيات على الحالة التي هي عليها كما تقع معاينتها من قبل المشاركين ومستشاريهم وتحت مسؤوليتهم.

ويدعى المهتمون بطلب العروض إلى ربط الصلة بالجهات الإدارية المحلية والمصالح الفنية المختصة، عند الإقتضاء وقبل المشاركة، إلى مزيد التثبت من صبغة الممتلكات موضوع التفويت ومن ضعتها القانونية والفنية.

يمكن لكل شخص طبيعي أو معنوي يرغب في المشاركة في طلب العروض الحالي زيارة ومعاينة العقار الموضوع للبيع طبقا للشروط المحددة بكراس الشروط وبعد سحبها مقابل خلاص مبلغ غير قابل للاسترجاع قدره مائة و خمسون دينار (150 د) نقدا أو بواسطة صك يسلم إلى القسم المالي للشركة أو بفرع الشركة الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة خلال التوقيت الإداري.

ترسل العروض في ظروف مغلقة ومختومة عن طريق البريد مضمون الوصول أو البريد السريع أو تودع مباشرة مقابل وصل في الاستلام لدى مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت. ويحمل الظرف الخارجي وجوبا التنصيصات التالية:

المرسل إليه : شركة «عقارية قمرت»

العنوان : نهج بحيرة أناسي - ممر بحيرة الملاوي عمارة الكرامة القابضة ضفاف البحيرة 1053 تونس

الموضوع: المشاركة في طلب العروض عدد 27 لسنة 2018

« لا يفتح من قبل مصالح مكتب الضبط»

يتكون ملف العرض المضمّن بالظرف الخارجي من جميع الوثائق الإدارية والمالية المرتبة من «أ» إلى «ح» والمنصوص عليها بالفصل 8 المتعلق بمحتوى العروض بما في ذلك ضمان المشاركة طبقا لمقتضيات كراسات الشروط والمحدد جزافيا بمبلغ مائة وخمسون ألف دينار تونسي (150 000 د).

حدّد آخر أجل لقبول العروض ليوم الخميس 12 جويلية 2018 على الساعة العاشرة صباحا (10س00). ويعتمد ختم مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت كمرجع وحيد لاثبات تاريخ وصول العروض. وتنعقد جلسة فتح العروض العلنية في نفس اليوم على الساعة العاشرة والنصف صباحا (10س30) بالمقر الاجتماعي للشركة بحضور عدل تنفيذ والعارضين أو من يمثلهم (مصحوبين بإثبات هوية وبتوكيل).

ويبقى المشاركون ملزمين بعروضهم لمدة مائة وثمانون (180) يوما بداية من اليوم الموالي للتاريخ الأقصى المحدد لقبول العروض.

لمزيد الإرشادات يرجى الإتصال بالمصلحة التجارية للشركة أو بفرعها الجهوي الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة أو على الأرقام:

(+216 98 910 000 أو +216 73 369 037 أو +216 71 960 100).

• الرّسم العقاري : 140466 تونس (القطعة 12).

• إسم العقار: الربيع.



تاريخ التكفير في تونس / لشكري المبخوت تكفير الثعالبي والحدّاد وبورقيبة : الملا بسات والأبعاد

صدر مؤخرًا عن دار ميسكلياني للنشر كتاب جديد للأستاذ شكري المبخوت عنوانه «تاريخ التكفير في تونس». يقع الكتاب في 351 صفحة وهو قراءة تحليلية في ثلاث حالات تكفير في تاريخ تونس الحديث :

- أولها تكفير الشيخ عبد العزيز الثعالبي سنة 1904 بعد أن نُسب إليه شتم الأولياء الصالحين والإزراء بأتباع الزوايا وما تبع ذلك من تقديمه للمحاكمة وسجنه.
- ثانيهما تكفير المصلح الاجتماعي والمفكر الطاهر الحدّاد سنة 1930 على إثر صدور كتابه الحدث «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» الذي تضمّن قراءة عقلية مستنيرة لأحكام القرآن الكريم بشأن المرأة .
- ثالثها تكفير الرّعيم الراحل الحبيب بورقيبة سنة 1960 على إثر خطاب 5 فيفري من السنة نفسها الذي شجّع فيه على ترك الصيام إذا كان يحطّ من إمكانيات الفرد ويجعله لا يقوى على القيام بواجب العمل مستشهدا بإفطار الرّسول وبعض صحابته في واقعة فتح مكة. وانتهى المؤلّف من تحليل هذه الحالات الثلاث إلى أنّ التكفير يستند في الأغلب الأعمّ

ولعلّ أهمّ ما تحضّل للمؤلّف من دراسة تاريخ التكفير في تونس هو أنّ التكفير وإن اتّخذ غطاءً شرعيًا دينيًا يظنّ ذا جوهر سياسيّ، فالثعالبي كان مناهضًا للحماية الفرنسيّة ناشرا للفكر الإصلاحي مهدّدًا لسلطة المشايخ المستكئين الموالين للاستعمار والمعارضين لكلّ إصلاح وتجديد ديني من شأنه أن يمسّ من امتيازاتهم ومناصبهم وتأثيرهم في المجتمع . أما الحدّاد فإنّ علاقته بحركة محمد علي الحامي وانشقاقه عن الحزب القديم كانا وراء الحملة المغرضة التي تعرّض لها. وأمّا بورقيبة فإنّ الإصلاحات الجوهرية التي أقدم عليها بعد الاستقلال مباشرة ولا سيّما إصدار مجلة الأحوال الشخصية وإعلان الجمهورية وحلّ الأعباس وإلغاء القضاء الشرعي وتوحيد مناهج التعليم لم تكن دون أن تثير أحقاد الطبقات المهيمنة القديمة ذات النزعة المحافظة سياسيًا (حكم البايات) وإيديولوجيًا (شيوخ جامع الزيتونة).¹

الحبيب الدريدي

الفيلسوف الكافر

الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي لم يكد يرجع من مصر حتّى أحاطت به هالة من أهل العلم والأدب وأصبحت ألزم له من ظله فكان ينتقل بهم في مجامع العاصمة ناديا سيارا مأخوذين بحلاوة تعبيره وفصاحة منطقه وقوّة عارضته ومقدرته على تحليل المواضيع استرسالا بلا ملل ولا فتور» (ابن عاشور، 2009، ص 86 - 89) .

وعلى مرّ الأيام يبدو أنّ اللعبة استهوت هذا الشابّ المتقدّ حيوية وأفكارا وآراء وتجارب لا عهد للمحيطين بها. وبدأ خطابه يتّجه نحو شيء من الحدة والعنف. فقد صار يقول كلاما خطرا يدك معتقدات الناس دكا ويزلزل ما استقرّ في عقليتهم البسيطة.

فالأولياء الصالحون عنده دجالون يكيل لهم من الشتائم البذيئة ما شاء له أن يكيل. وأتباع الزوايا سدج مغرر بهم. أما القرآن فقد نزل في عصر لم تشهد فيه العلوم ما يشهده عصره (بداية القرن العشرين) من تطوّر علمي مذهل. لذلك لا بدّ من إعادة فهمه وتأويله على نحو جديد غير حرفي. وأشاع الشابّ الثلاثيني المحمول بروح نقدية جارفة لا تبقي ولا تذر أنّ سور القرآن متفاوتة من جهة بلاغتها.

ولم ينج التعليم الزيتوني نفسه، مفخرة التونسيين ومشتل العلماء والشيوخ والقلعة الصامدة في وجه الاستعمار الذي يعمل على مسخ هوية التونسيين، من التقد. فهو تعليم بائس لا نفع فيه ولا بديل منه إلاّ تعلم العلوم الحديثة .

وإذا كانت الأحاديث الغريبة تنتشر بين الناس بشيء من التزيّد والمبالغة كما لو أنّ الطريف يحتاج إلى بعض الكذب ليكون أطرف فما بالك بحديث من البيّن أنّه مهنين للذين والعقائد السائدة مُفرط في مخالفة المأنوس في عقول الناس. ولما لم يكن صاحبنا يحتاط ممّن يُحدّثهم وكان يُلقي أفكاره في مكان عامّ فقد بدأت تشيع خارج جدران المقهى إشارات إلى كُفر الرّجل بسبب إهانته للإسلام والقرآن والتّهجّم على الأولياء الصالحين والزوايا وسبّ العلماء

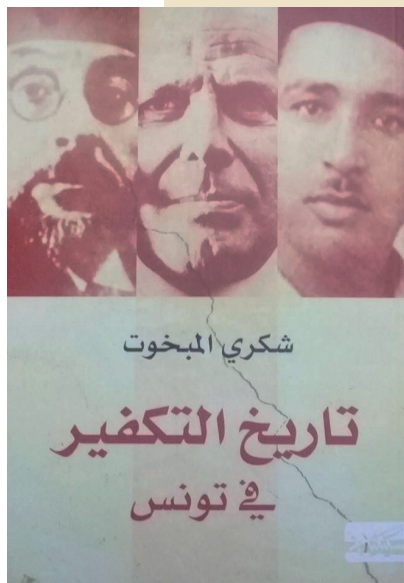
والشيوخ . وإذا أثبتت الأدلّة ذلك فإنّ مصير الرّجل الوقوف أمام المحكمة الشرعية التي لن تتردّد بشبوت التهمة من الحكم بما يقتضيه الكفر وهو القتل.²

في سنة 1904 كان الشابّ الثلاثيني قد عاد من المشرق العربيّ منذ سنتين تقريبا. أخذ يجلس في مقهى التوتة بحيّ الحلفاوين وقد طلب من صاحبه محمد كّمون استصلاحه على النمط الغربيّ الحديث بوضع الطاولات وتوفير الكؤوس والملاعق وقوارير الماء وباحترام قواعد النظافة (بن ميلاد وإدريس، 1991، ص 50)

وسرعان ما اتّخذ الثعالبي مقرًّا لنشر أفكاره. فكان شبّان الزيتونة والخلدونية من طلبة العلم بالخصوص يختلفون إلى مجلسه يروي لهم رحلاته ومشاهداته ويحدّثهم عن الشخصيات الكبرى التي التقاها ويعلق على الأحداث الجارية في تونس وخارجها. ولكنّ هذا المحدث البارح الذي يشدّ إليه الأسماع لم يكن يستنكف من الحديث في كلّ شيء من السياسة إلى الفلسفة إلى المجتمع والإصلاح الديني. فله عن كلّ سؤال جواب وفي كلّ مسألة رأي عادة ما يكون مغايرا لما ألف الناس سماعه.

بدا لأهل الحيّ منذ عودته غريبا مثيرا. فبلحيته التي أهملها وبشكله الذي صار يميل إلى السمنة ومعطفه الهنديّ الملون بالأصفر والأخضر لا يترك مازًا بالشّارع دون أن يلتفت إليه ويجد فيه المتسكعون والمتشرّدون والأطفال ما يبهجهم ويسرهم. إنّه شخصيّة طريفة متميّزة محبّبة في حيّ الحلفاوين. ولكن سرعان ما التصقت بها صفة الفيلسوف بما تثيره هذه الكلمة آنذاك لدى العوامّ من معنى الغرابة والشذوذ ولدى الكهول والشيوخ من قلّة الجدّة .

لقد وجد أهل الحيّ خصوصا منهم جلاس مقهى التوتة، شخصا مغايرا تماما للنماذج التي يعرفونها. كان لا يُشبه أحدا. نسيج وحده كما يُقال على المعنيين الحرفي والمجازي معا. يقول الفاضل بن عاشور عنه : « عاد من [الأستانة ومصر] غريب الشكّل والنزعة والمنطق والقلم (...) يدعو إلى التّطوّر والحرية وفهم أسرار الدّين وأسرار الوجود ويغرب بمقالات الحكماء والطبيعيين. ذلك هو





أرقام



السابع من الشهر السابع في سنة سبع وسبعين!»: «إذا فرقم 7 هو رقم الحظ؟»: «طبعاً! بالأمس فقط حضرت سباق الخيل، وراهنبت بـ7000 دينار على الحصان رقم 7، في الجولة السابعة، فأتمّ السباق في المرتبة... السابعة!».

رقم 7 ليس دائماً رقماً مباركاً... قال المدرّس لطالب العلم: «اكتب 11» فكتب الطالب التّجيب «1» ثمّ أحجم عن الكتابة يتفكّر ويحكّ رأسه؛ فلما سأله المدرّس عمّا يحبره، قال: «نسيّت يا سيّدي أين أكتب «1» ثانية، على اليمين أم على الشّمال؟»؛ فحار المدرّس واستشار أهل الخبرة، فلما استعصى عليهم الأمر جميعاً، رفعوه إلى الوزارة التي كوّنت للغرض لجنة تفرّغت إلى لجتين اثنتين، تشغّل الأولى على «1» والثانية على «1»، على أن تجمعا خلاصة أبحاثهما في كتاب واحد يُرفع إلى الوزير ليرفعه إلى رئيس الحكومة يفصل فيه، وقد يفصل وقد لا يفصل. أم أقل لكم من قبّل إن إصلاح التّعليم عَصِيّ وعِصِيّ؟... العمر أيضاً أرقام! وحدهم الذين لا يحسبون يعيشون طويلاً! لم تصدّق المرأة العجوز المؤمنة أنّ مَلَك الموت أتاها في منامها، فقالت له: «أيّها المَلَك، كم بقي لي من العمر، وأنا على عتبة الثّمانين؟»، فقال لها: «ستعيشين على عمرك هذا ستين سنة أخرى!»؛ فاطمأنّ قلبها، وقضت سنتها الأولى التي تلت تلك الرّؤيا السّعيدة، تحت مشاير الجراحين تتجمّل وتشدّ الجلد وتشفط الشّحوم وتحقن السّيلكون في أردافها وصدرها. لتعشّ جميلةً، مادام مقدراً لها أن تعيش ستين سنة أخرى؛ فأنفقت تحويشة العمر من مصحّة إلى مصحّة، ومن بلد إلى بلد؛ فلما مضى العام، وقد اطمأنت إلى شكلها الذي أضحت عليه، خرجت إلى النّاس تتباهى، فدهستها سيّارة مجنونة، فأردتها قتيلة، على عين المكان، كما يقول أهل الأخبار في التّلفزة كلّما ساقوا خبراً عن حوادث الطّرق. فلما سعدت روحها إلى السّماء (لأنّ جسدها بقي في الأرض)، لقيت مَلَك الموت هناك، فقالت له معاتبه: «أيّها المَلَك، لماذا فعلت بي هذا؛ لقد وعدتني ستين سنة أخرى؟»؛ فتملّى وجهها، ثمّ تملّى، وقال: «يا إلهي! أهذه أنت؟ لم أعرفك؛ لقد تغيّرت كثيراً. كيف لي أن أعرفك، وقد تبدّلت كلّ هذا التّبدّل؟».

ص.و.

أدوات بلا روح ولا حسّ؛ ولكنها تلازمتنا في حياتنا ومماتنا؛ تاريخ الميلاد أرقام، وتاريخ الممات أرقام، وأعمارنا أرقام، وأصواتنا أرقام، وأحزابنا أرقام، والرياضة أرقام، والبيع والشراء أرقام، والصّناعة والتكنولوجيا أرقام، والتاريخ والجغرافيا أرقام؛ وهل تستوي الحياة بلا أرقام؟.. رقم 1 يعزّي نفسه ويقول: «ناقص صفر لأصير 10» والصّفر يعزّي نفسه ويقول: «ناقص 1 لأصير 10». ما يعني حسابياً أنّ 1 و0 متساويان... نخوض في كلّ الأرقام، إلّا 1، فهو واحد أحد، مقدّس، لا يقربّه إنس ولا جان، ولا يُجزأ ولا يُقسّم، كرأس السّلطة في تلك البلاد العجيبة...

رقم 2، رمز الحياة، فلُقّة الحَبّ والحَبّ والنّوى؛ وهل يستوي الحَبّ دون اثنين؟ وحدها المخلوقات الوضيعة تتناسل ذاتياً كالذّودة الخنثى، فلا أنثى تحتاج ذكر، ولا ذكرٌ يحتاج أنثى؛ وتلك قَمّة التّرجسيّة!...

رقم 3، حاله كحال السّلطة؛ اثنان يتحالفان على ثالث؛ ولكن، لا بدّ من رابع لتستقيم اللّعبة؛ والسّلطة تبحث عن اللّاعب الرّابع؛ تريده نحيفاً، هزيلاً، كسيحاً، بالكاد يقف على رجليه، لا يسمن ولا يغني من جوع!

رقم 4، هو الغائب البارز، والهدف المنشود، ضعيف، باهت، ولكنه لازم لزوم الصّرف في العملة أو الملح في الطّعام تذوقه ولا تراه!...

رقم 5، لا يلعب، ولكنه يمكّ زمام الحساب ويسجّل الأهداف المدفوعة والمقبولة، ومأكله ومشربه على الحساب...

أما رقم 6 فيتفرّج ويعلق ويحلّل، ولا أحد يقبل بتعليقه أو تحليله، ولكنه، في كلّ الحالات حاضر، يفكّ الخصام ويصلح بين المتنافسين، مقابل سيجارة أو رشفة شاي... وهناك أرقام الحظّ وأرقام النّحس! رجل يقول لصاحبه: «هل تعرف أنّي محظوظ جدّاً؟»:- «أهاه! وكيف ذلك؟»:- «أنا مولود في اليوم